

الباب الثاني

منهجه في التفسير

- الفصل الأول : الجانب اللغوي في تفسيره
- الفصل الثاني : الجانب النقلي في تفسيره .
- الفصل الثالث : الجانب الفقهي في تفسيره .
- الفصل الرابع : الجانب الكلامي في تفسيره .
- الفصل الخامس : الجانب الأدبي في تفسيره

obeyikandi.com

التمهيد

كشفت لنا الدراسة الحالة السياسية والدينية والثقافية في العصر الفاطمي الذي عاش فيه الحوفي، كيف نشط دعاة الفرق والنحل، وعظم أمر الشيعة، كيف انقسمت الخلافة العباسية وتفرقت إلى دويلات فتصدعت وحدة الخلافة وتعددت حواضر الثقافة وازدهرت فيها العلوم والآداب، كيف تكونت ثقافته بما استلهمه من التراث السابق عليه والذي بينا جانباً منه في الفصول السابقة الذي ينص عليه صراحة في مقدمة الجزء الأول من تفسيره يقول: وإن كان ذلك شيئاً قد سبق إليه المتقدمون فإنني جمعت ما فرقوا واختصرت ما كثروا والله الموفق للصواب وهو حسبي ونعم الوكيل (١).

وبداية فإن الشخصية العلمية كل لا يتجزأ فيها من الفطرة وفيها من الاكتساب إن علماً وثقافة أو تجربة وأحداثاً، وهي على كل حال تكوين معقد أشد تعقيد مركب أيما تركيب هذا شأن الشخصية العلمية في ذات نفسها فكيف بالأمر إن حاولنا أن نتضح أمامنا صورة منها في مرآة عمل علمي أن المهمة أشق وأدق، ونحن إذ نعالج الشخصية العلمية من مؤلف لها علمي فلن نستطيع أن نجزي المركب فنقول هذا الجزء منها أدبي وذاك علمي وثالث ديني وهكذا لأنها ككل ذات عناصر ممتزجة مختلطة ولكننا نفترض أن الشخصية العلمية التي تعالجها أشبه بالوجه يسلم عليه ريشة الرسام فمرة تبرز عينية أدق إبراز ومرة تبرز أنفه وثالثة شاربية وهكذا تنتقل بين أجزاء الوجه لا تغادر سمة من سماته أو خصيصة من خصائصه وأجزاء الوجه المصور تعد مجموعة من الوجه كله (٢) من هذا المنطلق ولكي نبرز الجوانب المتعددة لشخصية الحوفي لابد من إبراز كل جانب

١- الحوفي: البرهان ١/١

٢- د. مصطفى الصاوي الجويني: منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إجازته ٩٢.

علي حده ، فالجانب الأول كعالم لغوي والجانب الثاني كعالم بالقراءات والجانب الثالث كنحوي ، والجانب الرابع كمفسر نقلي والجانب الخامس كفقيه والجانب السادس كمتكلم ، والجانب السابع كأديب ذي نزعة بلاغية.

هذه الجوانب كلها مضمومة إلى بعض ممتزجة بعضها مع بعض هي شخصية الحوفي العلمية كما بينه تفسيره لنا وكما قرر هو بنفسه في عنوان تفسيره إذ يقول البرهان في علوم القرآن من الغريب والإعراب والأحكام والتفسير والناسخ والمنسوخ وعدد الآي والتنزيل والوقف والتمام والاشتقاق والتصريف (١).

ولعلنا نتساءل هل التزم الحوفي بما قرره في عنوان تفسيره البرهان ؟ الجواب أن المطلع على تفسيره يراه قد التزم بهذا المنهج على مدى تفسيره ، فهو ملتزم بتناول الآية القرآنية حسب ترتيب المصحف، بادئاً بقوله في الإعراب ثم القول في القراءة ثم المعنى والتفسير، ثم ما تضمنته الآية من الأحكام الفقهية والمسائل الكلامية وأسباب النزول والناسخ والمنسوخ والوقف والتمام مبينا الغريب والاشتقاق والتصريف.

هذا المنهج التزم به على مدى آيات القرآن حسب ترتيب المصحف وحسب ترتيب تلك الجوانب، وهو بهذا الصنيع المتميز هدف إلى إظهار ما أنطوى عليه النص القرآني من غرائب التراكيب، وتباين الطرق التي تنتزع بواسطتها المعاني ، ومعرفة ألفاظ القرآن وفهم معانيه، وإدراك أغراضه وأبعاده. ومعرفة كل ذلك لا تتم إلا إذا كان المفسر على دراية تامة باللغة والإعراب والاشتقاق والتصريف، جامعاً بين المعقول والمنقول، لذلك يقول الزمخشري: أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، جامعاً بين أمرين

١- هذا القول هو عنوان تفسير الوفي المسمى البرهان في علوم القرآن وهذا العنوان بهذا القول مثبت في جميع أجزاء المخطوط الموجود بدار الكتب و المثبت بالبحث شكل رقم (١)

تحقيق و حفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات، قد رجَعَ زمانا وَ رَجَعَ إِلَيْهِ وَ رَدَّ وَ رُدَّ عَلَيْهِ فارسا في علم الإعراب (١).

ويقول ابن مجاهد: فمن حملة القرآن المُعرب العالم بوجوه الإعراب و القراءات العارف باللغات و معاني الكلام البصير بعيب القراءات المنتقد للأثار فذلك الإمام الذي يفرغ إليه حفاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين (٢).

يقول الزركشي: الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية و أول ما يجب البداءة به تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن، لمن يريد أن يدرك معانيه، وهو كتحصيل اللبن من أوائل المعادن في بناء ما يريد أن يبنيه. قالوا: ليس ذلك في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع وغيره، و هو كما قالوا: أن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته، لأن الجزء سابق على الكل في الوجود...، فنقول النظر في التفسير هو بحسب ألفاظ تراكيبيها.

أما بحسب الأفراد فمن ثلاث وجوه :

من جهة المعاني التي وضعت الألفاظ المفردة بإزائها، وهو يتعلق بعلم اللغة و من جهة الهيئات و الصيغ الواردة على المفردات الدالة على المعاني المختلفة، وهو من علم التصريف. و من جهة رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها و هو من علم الاشتقاق.

و أما بحسب التركيب فمن وجوه أربعة:

الأول: باعتبار كيفية التراكيب بحسب الإعراب و مقابلة من حيث أن مؤدية أصل المعنى وما دل عليه المركب بحسب الوضع و ذلك متعلق بعلم النحو.

١ - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل و عيون الأقاويل في وجوه التنزيل ١٧/١.

٢ - أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات ٤٥.

الثاني: باعتبار كيفية التراكيب من جهة إفادته معنى المعنى، أعني لازم أصل المعنى الذي يختلف باختلاف مقتضى الحال في تراكيب البلغاء وهو الذي يتكفل بإبراز محاسنه علم المعاني.

الثالث: باعتبار طرق تأدية المقصود بحسب وضوح الدلالة وحقائقها ومراتبها وباعتبار الحقيقة والمجاز، والاستعارة والكناية والتشبيه؛ وهو ما يتعلق بعلم البيان.

الرابع: باعتبار الفصاحة اللفظية والمعنوية والاستحسان ومقابله، وهو يتعلق بعلم البديع^(١) ولقد اشترط العلماء في المفسر الذي يريد أن يفسر القرآن دون أن يلتزم الوقوف عند حدود المأثور فقط، أن يكون ملما بجملة من العلوم التي يستطيع بواسطتها أن يفسر القرآن تفسيراً عقلياً مقبولاً، وجعل هذه العلوم بمناسبة أدوات تعصم المفسر من الوقوع في الخطأ، وتحميه من القول على الله بدون علم، وإليك هذه العلوم مفصلة مع توضيح ما لكل علم منها من الأثر في الفهم وإصابة وجه الصواب^(٢).

الأول: علم اللغة: لأن به يمكن شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع قال مجاهد لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب، ثم أنه لابد من التوسع والتبحر في ذلك، لأن اليسير لا يكفي، إذ ربما كان اللفظ مشتركاً، والمفسر يعلم أحد المعنيين ويخفى عليه الآخر، وقد يكون هو المراد.

١ - الزركشي: البرهان في علوم القرآن ١٧٣/٢ - ١٧٤ .
٢ - د. محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون ٢٦٥/١ - ٢٦٦ و هذا القول مستفاد من قول السيوطي في الإتقان، فيبعد أن بين العلوم الواجب توافرها في المفسر قال: فهذه العلوم التي هي كالآلة للمفسر لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه، وإذا فصل مع حصولها لم يكن مفسراً بالرأي المنهي عنه. " راجع الإتقان ٢٣٢/١".

الثاني: علم النحو: لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب فلا بد من اعتباره.

الثالث: علم التصريف: وبواسطته تعرف الأبنية والصيغ قال ابن فارس و من فاته علمه

فاته المعظم؛ لأن " وَجَدَ " مثلاً كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها^(١)

وحكي السيوطي عن الزمخشري أنه قال: " من بدع التفاسير قول من قال : إن

الإمام في قوله تعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمْمِهِمْ﴾^(٢) جمع أم و أن الناس

يدعون يوم القيامة بأسمائهم دون آبائهم، وقال وهذا غلط أوجب جهله بالتصريف ، فإن

أمأ لا تجمع على إمام .

الرابع: الاشتقاق: لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين، اختلف باختلافها

كالمسيح مثلاً، هل هو من السياحة أو من المسح^(٣) .

الخامس والسادس والسابع: علوم البلاغة الثلاثة: " المعاني، البيان، البديع " فعلم المعاني

يعرف به خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها للمعنى. و علم البيان يعرف به

خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدلالة و خفاؤها و علم البديع

يعرف به وجه تحسين الكلام .

وهذه العلوم الثلاثة من أعظم أركان المفسر ولأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه

الإعجاز وذلك لا يدرك إلا بهذه العلوم.

١ - " وَجَدَ " يقول الزركشي: وَجَدَ كلمة مبهمة، فإذا صرفناها اتضحت فقلنا في المال " وَجَدًا " . و في الضلالة " وَجَدَانًا "، و في الغضب " مَوْجِدَةٌ "، و في الحزن " وَجْدًا " " البرهان ١/٢٩٧".

و جاء في اللسان : " وَجَدَ " : يُقَالُ : وَجَدْتُ " في المال وَجْدًا وَوَجْدَانًا وَوَجْدَةً ، أي صرت ذا مال وَوَجَدْتُ الضلالة وَوَجْدَانًا ، و الْوُجْدُ و الْوَجْدُ و الْوَجْدُ : الْيَسَارُ و السَّعَةُ ، و الْوَاجِدُ : الْغَنَى .

٢- سورة الإسراء آية ٧١ .

٣ - المسيح جاء في اشتقاقه أقوال هل هو مشتق من السياحة أو من المسح ؟ جاء في لسان العرب مادة "مَسَحَ" : الصَّدِيقُ و به سمي عيسى عليه السلام ، قال الأزهري : روي عن ابن الهيثم أن المسيح الصديق ... و قال الكسائي: قد درس من كلام العرب كثير . قال ابن سيده و المسيح عيسى ابن مريم صلى الله على نبينا و عليهما ، قيل سمي بذلك لصدقه .. و قيل سمي به لأنه كان سائحاً في الأرض لا يستقر و قيل سمي بذلك لأنه كان يمسخ بيديه على العليل ، و الأكمة و الأبرص فيبرؤه بإذن الله .

راجع لسان العرب مادة (مسح)

الثامن: علم القراءات: إذ بمعرفة القراءات يمكن ترجيح بعض الوجوه المحتملة على بعض.
التاسع: علم أصول الدين وهو علم الكلام وبه يستطيع المفسر أن يستدل على ما يجب في حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل.

العاشر: علم أصول الفقه: إذ به يستنبط الأحكام من الآيات ويستدل عليها.
الحادي عشر: علم أسباب النزول: إذ أن معرفة سبب النزول يعين على فهم المراد من الآية.

الثاني عشر: علم القصص: لأن معرفة القصة تفصيلا يعين على توضيح ما أجمل منها في القرآن.

الثالث عشر: علم الناسخ والمنسوخ: وبه يعلم المحكم من غيره، وفي فقد هذه الناحية ربما أفتى بحكم المنسوخ فيقع في الضلال والإضلال.

الرابع عشر: الأحاديث المبينة لتفسير الجمل والمبهم ليستعين بها على توضيح ما يشكل عليه.

الخامس عشر: علم الموهبة: وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم، وإليه الإشارة يقول تعالى ﴿... وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ...﴾ (١).

ولقد أجمع العلماء على أن أحسن طرق التفسير:

أن يفسروا القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فقد فصل موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في آخر، فان أعيك ذلك فعليك بالسنة، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له.

قال تعالى ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

١ - السيوطي: الإتقان في علوم القرآن ٢٣١/٢ - ٢٣٢ ، الذهبي: التفسير و المفسرون ٢٦٥/١ - ٢٦٨

٢ - سورة النحل آية ٦٤.

ولهذا قال صلي الله عليه وسلم: "ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه"، بعني السنة فإن لم يوجد في السنة يرجع إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن، ولما أعطاهم الله من الفهم العجيب، فإن لم يوجد ذلك يرجع إلى النظر والاستنباط بالشرط السابق^(١)

والنظر والاستنباط لا يكون إلا: بالأخذ بمطلق اللغة لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، ولكن على المفسر أن يحترز من صرف الآية عن ظاهرها إلى معان خارجة محتملة يدل عليها القليل من كلام العرب، ولا توجد غالبا إلا في الشعر ونحوه ويكون المتبادر خلافها، وروي البيهقي في الشعب عن مالك رضي الله عنه أنه قال: "لا أوتي برجل غير عالم بلغة العرب يفسر كتاب الله إلا جعلته نكالا"، وبالتفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع، وهذا هو الذي دعا به النبي صلي الله عليه وسلم لابن عباس حيث قال: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"^(٢).

وعلى ما قرره العلماء وتفوقوا عليه من الشروط الواجب توافرها فيمن يتصدى لتفسير كلام الله عز وجل وعلى ما سوف تكشفه لنا الدراسة نقول وباطمئنان أن الحوفي التزم هذا المنهج في تفسيره، فجاء تفسيره متكاملا من كل جانب من تلك الجوانب مستوفيا لتلك الشروط، جامعا بين مناهج التفسير المتعددة، فلقد جمع بين منهج التفسير اللغوي، مقتفيا آثار أئمتها ابن عباس، وأبي عبيد، والفراء، وأبي عبيدة والزجاج والنحاس. وبين منهج التفسير النقلي مقتفيا آثار أئمتها عبد الرحمن بن زيد الطبري وبين منهج المتكلمين وبين منهج التفسير الفقهي مقتفيا آثار أئمتها مالك الشافعي وأبي حنيفة وسفيان الثوري والأوزاعي. وليس جمعه بين المناهج المتعددة تكراراً لعمل

١ - الزركشي: البرهان ١٧٥/٢ - ١٧٦.

٢ - نفسه ١٧٨/٢ - ١٧٩.

السلف، بل لم يسبقه أحد من السلف بهذا التأليف الجامع المستلهم للتراث السابق عليه المستوعب لدقائق ما جاء من مناهجهم، وهذا شأن العلماء أن يستلهم التراث ثم بعد أن يستوعبه يتخير منه ثم يضيف إليه ما يوحى به تأمله وإلهامه .

ولما كانت طبيعة البحث تقتضي منا بيان منهجه في التفسير ارتأينا أن نعرض لمنهجه مجملاً ثم نتناوله بالتفصيل .

(أولاً منهجه مجملاً^(١) :

١. يبدأ تفسيره للآية القرآنية حسب ترتيب المصحف بالقول في الإعراب، وهو لم يقصد بالإعراب ضبط أواخر الكلم فقط إنما قصده النحو بمعناه الواسع جامعاً بين المباحث اللغوية والنحوية في موطن واحد ويبدو ذلك واضحاً من جمعه بين المباحث اللغوية كالاقتفاء والتصريف والظواهر الصوتية وبين المباحث النحوية التراكيب والإفراد ودور ذلك في الكشف عن المعنى .

٢. وهو بعد أن يستوفي القول في الإعراب ينتقل إلى القول في القراءات وصلاتها بالمعنى.

٣. ينتقل إلى القول في المعنى والتفسير، فيكشف اللفظة المفردة ودلالاتها اللغوية عن طريق كشف النظائر والنقيض، ثم يبين سبب نزول الآية ويكشف عن النسخ والمنسوخ ويبين أن النسخ لا يكون إلا في آيات الأحكام وبعد أن ينتهي من ذلك يكشف المعنى من جوانب عدة، فإن كانت الآية مجملة فصلت في آيات أخرى وضحاها وبيّنها، إن كانت السنة قد بينتها نص على ذلك وهو في كل هذا يستشهد بالشعر فإن تعرض لقصة قرآنية بيّنها وذكر أن هذا القول هو أوعب ما قال

١ - راجع ملحق الرسالة شكل رقم (١)

المفسرون، فإن تعرض لمسألة كلامية بيّنها و نبه عليها وناقشها، فإن كان في الآية حكم فقهي نص عليه وجمع بين أقوال الأئمة و تخير أجود تلك الأقوال ثم إن انتهى من ذلك ذكر ما تضمنته الآية من حيث يوضح مفهومه للآية، ثم ينتقل إلى القول في الوقف و التمام لينتهي تفسيره للآية و هو في كل هذا يغلب عليه الطابع اللغوي و الاهتمام بالجانب الأسلوبي و صولا للمعنى هذا هو خلاصة منهجه إجمالا على أننا ارتأينا في تفصيل منهجه مراعاة للترتيب أن نبدأ بالجانب اللغوي و يشمل :

القراءات و الاشتقاق و التصريف و النظائر و النقيض و الإعراب. ثم الجانب النقلى و نبين فيه أحسن طرق التفسير و أسباب النزول و الناسخ و المنسوخ و القصة القرآنية. ثم الجانب الفقهي و ما تعرض له من أحكام فقهية و رأيه فيها. ثم الجانب الكلامي لنتتهي عند الجانب الأدبي و نبين فيه قضية الإعجاز القرآني و كيفية استخدامه للشواهد الشعرية و صولا للمعنى المراد. ثانياً: منهجه مفصلاً:

و بعد أن بيّنا منهجه مجملًا نأخذ في بيان منهجه مفصلاً على أننا في بياننا لمنهجه سوف نراعي الترتيب حسب طبيعة البحث و كما سبق الإشارة إلى ذلك.

obeyikandi.com

الفصل الأول

الجانب اللغوي في تفسيره

قبل أن نكشف عن الجانب اللغوي في تفسيره، نقول إن الجانب اللغوي عنده يعني الكشف عن جميع الوجوه اللغوية في اللفظة المفردة وفي التركيب اللغوي من خلال عرضه للقراءات القرآنية وتعليه لكل قراءة واشتقاق كل كلمة للوصول إلى أصلها اللغوي واهتمامه بالجانب الصرفي للكلمة والجانب الدلالي من خلال بيانه للفظة المفردة^(١) وكشفه عن النظائر والنقيض ثم يكمل هذه الدائرة بالكشف عن الموقع الإعرابي والتعلق اللفظي وهذا هو ما اصطاح عليه العلماء بمعاني النحو، كل ذلك ليكشف لنا عن اللفظ المغلق وصولاً للمعنى المقصود.

ولكن يبرز لنا المعنى في اتساق مقبول بعيد عن الاختلافات المخلة بالمعاني اتسم جهده باستقراء التراث السابق عليه واستيعابه وتخيره أجوده ثم تطبيقه تطبيقاً علمياً في تفسيره، وهو بذكاء العالم بمتطلبات التفسير تخير إعلام كل من فاستلهم منه مادة بحثه ففي مجال القراءات القرآنية استند على آراء: مجاهد (ت ١٠٣ هـ) وأبي رجاء (ت ١٠٥ هـ) وابن عامر (ت ١١٨ هـ)، وابن كثير (ت ١٢٠ هـ)، وعاصم الكوفي (ت ١٢٧ هـ)، وأبي جعفر (ت ١٢٣ هـ)، عيسى بن عمر (ت ١٤٩ هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤ هـ)، وحمزة الكوفي (ت ١٥٦ هـ)، نافع المدني (ت ١٦٩ هـ)، ورش المصري (ت ١٩٧ هـ)، قالون (ت ٢٢٠ هـ)، أبي عبيد (ت ٢٢٣ هـ)، حفص (ت ٢٤٠ هـ) ابن

١ - المقصود بيانه للفظة المفردة: الدلالة المعجمية و هي ما يختص به القسم الثالث

السكيت (ت ٢٤٣ هـ)، الدينوري (ت ٢٨٩ هـ)، البزي (ت ٢٥٠ هـ) النحاس (ت ٣٣٨ هـ)، الإدفوي (ت ٣٨٨ هـ) .

وفي مجال الوقف والتمام استند على آراء: يعقوب الحضرمي (ت ٢٠٥ هـ) وأبي حاتم (ت ٢٥٠ هـ) ، وابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) وابن الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) وفي مجال اللغة والنحو استند على آراء : ابن عباس (ت ٦٨ هـ)، الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ)، وسيبويه (ت ١٨١ هـ)، وقطرب (ت ٢٠٦ هـ)، الفراء (ت ٢٠٧ هـ)، الأصمعي (ت ٢١٦ هـ)، الأخفش (ت ٢٢١ هـ)، والمبرد (ت ٢٨٥ هـ) ثعلب (ت ٢٩١ هـ)، ابن كيسان (ت ٢٢٩ هـ)، الزجاج (ت ٣١١ هـ)، ابن دريد (ت ٣٢١ هـ)، الأزهري (ت ٣٧٠ هـ) .

فالحوفي باعتماده على آراء أئمة كل فن من فنون اللغة والنحو والفنون الأخرى هدف إلى تكوين مدرسة مصرية في التفسير غرضها توحيد الآراء وجمع شتات ما تفرق من الآراء والأقوال هدفها:

١. الكشف عن معاني النص القرآني باعتماد على اللغة والنحو والإعراب وفي ذلك يقول الواحدي: " إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو والأدب فإنهما عمدتاه وأحكام أصولهما، وتتبع مناهج لغات العرب"^(١) ويقول في موضع آخر: " من تأمل مصنفات المفسرين ووقف على معاني أقوالهم لم يقف على معاني كلام الله دون الوقف على أصول اللغة والنحو"^(٢) إلى غير ذلك .

٢. تقويم اللسان والحفاظ على اللغة من اللحن وسلامة التنزيل، فلقد نشط للدفاع عن ذلك مدرسة البصرة والكوفة وجمعت بينهما المدرسة البغدادية ونشط في مقابل

١ - الواحدي: البسيط ٢/١

٢ - الواحدي: نفسه ٨/١ .

المدرسة البغدادية المدرسة المصرية التي نبتت عند النحاس والإدفعوي و نمت وازدهرت عند الحوفي الذي جمع بين تلك المذاهب، وجعل من التفسير موسوعة لغوية نحوية حافلة بشتى المباحث وأضرب الآراء فلم يترك مجالاً للبحث اللغوي أو النحوي موضوع من التنزيل إلا وقد سير أغواره، وغاص إلى قراره، مستعرضاً في ذلك شتى الوجوه والآراء والأقوال، ما بين ترجيحه ونقده ورأيه.

٣. الوقوف أمام متأولي النص القرآني من مثل أصحاب المذاهب المتعددة والفرق المختلفة خاصة أصحاب المذهب الشيعي الذي نعى وازدهر في العصر الفاطمي والدهرية^(١)، ومنكري البعث^(٢)، ومن أنكر أن الله قادر^(٣) من المنطلق برز لنا اهتمام الحوفي بالجوانب اللغوية المتعددة ومراعاة لأن اللغة ظاهرة صوتية لأن الأصل في اللغة أنها نظام من الرموز الصوتية المنطوقة التي يتعامل بها الناس^(٤) ارتأينا أن نبدأ ببحث هذا الجانب من خلال كشفه عن وجود القراءات القرآنية وتوجيهها والاحتجاج لها في تفسيره، ثم ينتقل بنا البحث إلى الجانب الاشتقاقي كجانب أصل في مباحث اللغة، ثم يتلوها الجانب الصرفي فالدلالي ثم الجانب التركيبي والتعلق اللفظي.

١ - الحوفي: البرهان ٣١/١٠.

٢ - الحوفي: نفسه ٣٦/١٠.

٣ - الحوفي: نفسه ٩/١ - ٤٢.

٤ - د. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة ص ٣١.

القسم الأول الظاهرة الصوتية في تفسيره

أولاً : علاقة القراءات القرآنية باللغات العربية:

قبل الحديث عن الظاهرة الصوتية في تفسير الحوفي، لابد أن نلقي الضوء على علاقة القراءات القرآنية باللغات العربية، وذلك للارتباط الوثيق بين الجانب الصوتي للقراءات القرآنية واللغات العربية، فالجانب الصوتي لا يمكن الوقوف عليه إلا عن طريق القراءات القرآنية والقراءات القرآنية إنما هي لهجات عربية.

وإنما الهدف من اشتغال قراءات القرآن على لهجات معظم قبائل العرب، إنما ذلك لتوحيد العرب الذين كانوا متفرقين قبل نزول القرآن، ولولا القرآن وقراءاته لضاعت تلك اللغات التي لا زالت موجودة منذ نزول القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها^(١)

ولقد قصد الحوفي بعرضه للقراءات القرآنية والجوانب اللغوية والنحوية الحفاظ على اللغات العربية للوقوف بها أمام أهل الزيغ والإلحاد، والأهواء والبدع الذين تأولوا النص القرآني تبعاً لأهوائهم فأخطأوا وتكلموا في كلام الله دون معرفتهم باللغة وآدابها. فلقد كان لاختلاط العرب بغيرهم من سائر الأجناس المختلفة، أصحاب اللغات المتعددة الأثر الواضح في ضياع اللغات العربية. ولولا القرآن وقراءاته لضاعت تلك اللغات التي لا زالت موجودة منذ نزول القرآن إلى الآن وبعد الآن، من هنا يتضح أن القرآن وقراءاته، كان لهما الأثر الواضح في الحفاظ على الكثير من اللغات العربية

١ - د. محمد سالم محيسن: القراءات و أثرها في علوم العربية ٨٢ .

القديمة. فلولا القرآن وقراءته ما عرف الكثيرون من بني الإنسان هذه اللهجات التي لا زال يرددها وينطق بها الملايين من شتى بقاع الأرض بما فيهم العربي وغير العربي (١).

ولكي تتبين لنا تلك العلاقة لابد من توضيح المقصود بالقراءات القرآنية واللهجات العربية واللغة

يقول (بن) الجزري:

القراءات: علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقل. خرج النحو واللغة والتفسير وما أشبه ذلك. والمقرئ العالم بها رواها مشافهة فلو حفظ التيسير مثلا ليس له أن يقرئ بما فيه إن لم يشافهه من شوفه به مسلسلا لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسمع والمشافهة (٢).

وأما اللهجة: فهي أسلوب أداء الكلمة إلى السامع، من مثل إمالة الفتحة أو تفخيمها مثل تسهيل الهمزة أو تحقيقها فهي محصورة في جرس الألفاظ، وصوت الكلمات، وكل ما يتعلق بالأصوات وطبيعتها وكيفية أدائها.

وأما اللغة: فهي الألفاظ التي تدل على المعاني؛ من أسماء وأفعال وحروف ويراد بها النحو، وهو طريق تأليف الكلمات وإعرابها للدلالة على المقصود؛ وكذا يراد بها كل ما يتعلق باشتقاق الكلمات وتوليدها، وبنية الكلمة ونسجها، أو معاني بعض الكلمات ودلالاتها (٣).

فالعلاقة على هذا علاقة وثيقة، يوضحها لنا ما بيَّنه الحوفي في تفسيره من عرضه للقراءات القرآنية والمباحث اللغوية من اشتقاق وتصريف وبيان النظائر والنقيض

١ - د محمد سالم محيسن: نفسه ٨١/١ - ٨٢ .

٢ - أبو الخير محمد بن محمد الجزري: منجد المقرئين و مرشد الطالبين ٣ .

٣ - عبد الوهاب حمودة: القراءات واللهجات ٤-٥ .

ومعالجته النحوية من إعراب وتعلق لفظي، التزم منهجاً متفرداً وهو تتبع كل آية في القرآن مرتبة حسب ترتيب المصحف فيعالجها من جميع الوجوه، جامعا بين الرواية والدراية، بين النظرية والتطبيق.

ثانيا: **وجوه القراءات القرآنية و تعليله لكل قراءة :**

لقد كان من الطبيعي لدراسة الظاهرة الصوتية أن نبدأ بالكشف عن منهجه في عرض أوجه القراءات واحتجازه لكل قراءة، وقبل أن نعرض لما قام به الحوفي نبيّن ما اتفق عليه العلماء من أنواع القراءات. يقول السيوطي نقلا عن ابن الجزري كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت احد المصاحف العثمانية ولو احتمالا وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها سواء كانت من الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة^(١).

من هذا المنطلق جاءت عناية الحوفي بالقراءات القرآنية وهو دقيق في هذه فتراه تارة يرجع القراءات إلى إمام كل قراءة، فإذا انفرد قارئاً أو أكثر ذكر ذلك، ثم علل لكل قراءة، وهذا الصنيع هو الغالب على عرض الحوفي لأوجه القراءات، ففي قوله تعالى

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢)

يقول قرأ أبو بكر عن عاصم جَبْرَءَل بفتح الجيم والراء وهمزة مكسورة بلا ياء وقرأ ابن كثير " جَبْرِيْل " بفتح الجيم وكسر الراء و ياء بعدها من غير همز، وقرأ حمزة الكسائي "

١ - السيوطي: الإتيان في علوم القرآن ٩٩/١.

٢ - سورة البقرة آية ٩٧.

جَبْرَيْلٍ" بفتح الجيم والراء و همزة بعدها ياء، والباقون بكسر الجيم والراء و ياء بعدها بلا همز "جَبْرَيْلٍ".

وقرأ أبو عمرو وحفص "ميكال" على وزن مفعال وقرأ نافع "ميكال" بهمزة الألف ولا ياء بعدها على وزن ميفاعِل، والباقون بهمزة بعدها ياء على وزن ميفاعيل فجبريل وميكال لغة أهل الحجاز، والشاهد لها قول الشاعر:

وَيَوْمَ بَدْرٍ لَقِينَاكُمْ لَنَا مَدَدٌ
فِيهِ مَعَ النَّصْرِ مِيكَالٌ وَجَبْرَيْلٌ*

ويروي جبريل وميكال، ومنه قول حسان:

وَمَنْ قَرَأَ جَبْرَيْلَ وَمِيكَائِيلَ احْتَجَّ بِقَوْلِ جَرِيرِ بْنِ عَطِيَّةٍ :

فلغة أهل الحجاز جبريل، ولغة تميم وقيس وبعض نجد جبرئيل. وفي جبرئيل لغة أخرى "جبرين" بالنون، وجبراءل ولم يقرأ بهما وهي أسماء أعجمية أعربت بها العرب قال ابن عباس: هو مثل عبد الله وعبدالرحمن، قال أبو عبيد هما اسمان لهما كزيد وعمرو.

وقيل جبر عبد وال الله، وألزم قائل هذا أن يكون مضافاً فيقول هذا جبرال ورأيت جبرال، ومررت بجبرال، واحتج لمن قال هذا أنه لا يلزم إضافته لأنهما قد خلطا وجعلا اسما واحدا فصار مثل بعل بك ورام هرمن. والوجه أن يكونا أعجمين لا يعرف اشتقاقهما عربتهما العرب^(١). والحوفي بهذا يتفق مع ابن مجاهد في تخريجه للقراءات إلا أن الحويفي يعلل لكل قراءة وأن مجاهد يكتفي بذكر الوجه دون تعليل^(٢).

وفي قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا مَخْرُجًا مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا

١ - الحويفي: البرهان ٩٤/٢.

٢ - ابن مجاهد: كتاب السبعة في القراءات ١٦٦/١ - ١٦٧.

قَنَوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّتِ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِهٍ أَنْظُرُوا
إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

يقول: قرأ حمزة والكسائي " إلى ثمره" ، كلوا من ثمره فيها وفي يس : ليأكلوا من
ثمره بضم الثاء والميم في جميعه الباقيون بفتحها، وقرأ أبو عمرو في الكهف " وكان له ثم
و أحيط بثمره بضم الثاء وسكون الميم، عاصم بفتحها ، الباقيون بضمها. فالضم في جميعه
يحمل وجهين أحدهما أن يكون جمع ثمار كجمار و حُمر، أو يكون جمع ثمرة مثل حشبة
وحشُب، والفتح على أنه جمع ثمرة وثمر كشجرة وشجر، والإسكان لاستئصال الجمع بين
ضمتين، ومن فتح و ضم جمع بين لغتين وحكي عن ابن عمرو أن المضموم المال المتمر
والمفتوح الثمر (٢).

فهو في هذه الآية قد اعتمد في تخريجه للقراءات على أئمة القراءات على أئمة
القراء حمزة والكسائي وأبي عمرو وعلل لكل قراءة وخرج المعنى على توجيه القراءة.

وفي قوله تعالى ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۗ
وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣).

يقول قرأ نافع وابن عامر " كلمات" وفي يونس كلمات ربك وفي المؤمن:

حقت كلمات ربك" بالجمع في سائرهما ابن كثير وأبو عمرو هاهنا بالجمع وما
عداه بالإفراد الباقيون بالإفراد في جميعه فالجمع محمول على قوله في غير موضع لا مبدل
لكلماته" والأفراد على قوله ﴿... وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ...﴾ (٤)

١ - سورة الأنعام آية ٩٩.
٢ - الحوفي: البرهان ١٠/١٠١.
٣ - سورة الأنعام آية ١١٥.
٤ - سورة الأنعام من آية ١١٥.

﴿...وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ...﴾^(١) وترك
الطرد للجمع بين لغتين^(٢).

فإذا انفرد قارئاً بالقراءة نص عليه وعلل له، ففي قوله تعالى
﴿... قَالُوا أَلَنْ جِئْتَنَا بِالْحَقِّ فَدَخَلْنَاهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣).
يقول: "قَالُوا أَلَنْ جِئْتَنَا بِالْحَقِّ" قرأت الجماعة بالهمز إلا نافعاً فإنه ألقى حركة
الهمز على اللام وحذفها بعد حذفه الواو لالتقاء الساكنين لسكونها وسكون اللام ولم يعتد
بحركة اللام لأنها عارضة فيرد الواو فيقرأ "قَالُوا لَأَنْ" كأنه بلام مضمومة وبعدها لام
مفتوحة وهذه القراءة على لغة من يقول: "الحمزُ يجيئُ" بألف الوصل مع اللام لأنه لم يعتد
بالحركة لأنها عارضة ويجوز قالوا الآن بإثبات الواو وحذف الهمزة وتحريك اللام
بحركتها وهذا نظرية قراءة أبي عمرو "عادا لولا" في الاعتداد بحركة اللام فأدغم النون في
اللام لسكونه وحركة اللام، وقد طعن في هذه القراءة وهي جيدة والدليل على حسنها
جوازها والاعتداد بحركتها أن ما بعدها ساكن فلولم يعتد بحركتها ما جاز أن تلي
ساكنها نظير ذلك ثبات النون في قوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ﴾^(٤).
وحركة التقاء الساكنين عارضة فلولم يكن يعتد بها في مثل هذا لجاز حذف النون
على طريق التخفيف إذا سكنت ولن يجز ذلك مع تحريكها لالتقاء الساكنين أحد^(٥).

والحوفي إذا وردت له رواية في فرع ردها للأصل وعلل لها أيضا، فمثلا إذا ذكر
رواية عن ورش ردها للإمام الذي روى عنه ورش أو غيره أمثال هشام وابن ذكوان. ففي قوله
تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾^(٦)

١ - سورة الأنعام من آية ١١٥ .
٢ - الحوفي: البرهان ١١٩/١٠ .
٣ - سورة البقرة آية ٧١ .
٤ - سورة النساء آية ١٦٨ .
٥ - الحوفي: البرهان ٣٨/٢٠ .
٦ - سورة البقرة: آية ١١ .

يقول: "اختلف القراء في قيل وغيض وحيل وسيء وسيئت وسيق وجيء" فقرأ هشام عن ابن عامر والكسائي بالضم في جمعيهن، وقرأ ابن ذكوان عن ابن عامر بضم السين في سيء وسيئت حيث وقعا وقرأ الباقون بالكسر.

فمن ضم فللايذان بمعنى الأصل لأن هذا الفعل المبني لما لم يسم فاعله مضموم الأول للفرق بينه وبين ما سمي فاعله^(١).

وفي قوله تعالى ﴿...وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢) يقول: اختلف القراء في ضم الهاء وإسكانها من قوله تعالى: ﴿...وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وكذلك إذا كان قبلها فاء أو لام أو ثم كقوله فهو وهو "ثم هو"، فأبو عمرو والكسائي يسكنان الهاء في "وهو وهو وهو" في الثلاثة ويزيد الكسائي إسكانها مع ثم، وأبو عمرو يحركها مع ثم، وقالون عن نافع يوافق الكسائي وورش عن نافع يحركها والباقيون يحركون^(٣) فنراه قد أرجع قراءة الفرع وهي قراءة قالون إلي الأصل وهي قراءة نافع، وكذلك قراءة ورش. ثم بعد أن بين أوجه قراءة كل قارئٍ يعلل لكل قراءة يقول: وحجة من أسكن أن هذه الهاء حكما أن تحرك بالضم لخفائها وقوة الضمة وأصلها التحريك، ومن أسكن أجراها مجراها في عَضُدٍ فحذف الضمة لثقلها^(٤)، ومن حَرَّكَ حَرَّكَ عَلَى الأصل، وحجة أبي عمرو في التحريك مع ثم أن ثم حرف يوقف عليه وكأن الهاء مبتدأة، والواو والفاء واللام حروف تتصل بالهاء ولا تنفصل منها فلهذا أسكن معهن وحُرَّكَ مع ثم، وحجة الكسائي في الإسكان مع ثم أن ثم حرف من حروف العطف نظيره الفاء والواو فأجراه مجراهن، وإذا كانت هذه الهاء مبتدأة لم يجز غير التحريك لأنه يُبْنَدُ بساكن، وينشد في الإسكان:

تعلل وهي ساغبة بئيهَا بانفاس من السبم القراح

١ - الحوفي: البرهان .

٢ - سورة البقرة: آية ٢٩ .

٣ - الحوفي: البرهان . ١١٠/١ .

٤ - الحوفي: البرهان . ١١٠/١ .

و أحيانا يسند القراءة لأهل الأمصار دون ذكر لأسماء للقراء، فمثلا في قوله تعالى
 ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَتُّؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ
 عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (١)

يقول اختلفوا في تشديد الظاء وتخفيفها هاهنا، وفي سورة التحريم، فقرأ أهل
 الكوفة بالتخفيف والباقون بالتشديد (٢). فنسب القراءة لأهل الكوفة ثم علل لكل قراءة
 يقول: فمن شدّد فالأصل يتظاهرون قلبت التاء طاء وأدغمت الطاء في الظاء لقرب
 مخرجيهما، ومن خفف استثقل تاءين متحركتين في أول الكلمة فحذف في احديهما وهي
 تاء التفاعل، وقد جاء مثل ذلك في قوله عز وجل

﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ (٣) والأصل يتمنون (٤).

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي الدَّرِكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ (٥).
 يقول: قرأ أهل الكوفة الدرك بسكون الراء، والباقون بفتحها وهما الغتان إلا أن
 الفتح أشهر في كلام العرب، ومن فتح استدل بالجمع إدراك كحمل وأحمال لأنه الغالب
 في فعل ويجمع المفتوح على إدراك ودروك والمسكن جمعه على أدرك ودروك (٦).

وقد يستند إلى قارئ بجانب أهل الأمصار، ففي قوله تعالى ﴿إِنَّ الْحَكْمَ إِلَّا
 لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ (٧)

يقول قرأ أهل الحرمين وعاصم يقصّ الحق بصاد مشددة، وقرأ الباقي بصاد
 معجمه مخففة، فوحد الصاد قوله بعده "وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ" ولا يكون الفصل إلا في

- ١ - سورة البقرة آية ٨٥ .
- ٢ - الحوفي: البرهان ٦٧/٢ .
- ٣ - سورة آل عمران آية ١٤٣ .
- ٤ - الحوفي: البرهان ٦٧/٢ .
- ٥ - سورة النساء آية ١٤٥ .
- ٦ - الحوفي: البرهان ٨٦/٨ .
- ٧ - سورة الأنعام آية ٥٧ .

القضاء، ولا يلزم قول من قال لو كان يقضي لكان بالحق لأن يقض هاهنا بمعنى يصنع الحق كما قال الهزلي:

و عليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

يريد صنعها داود ، وأيضا فانه يجوز أن يكون صفة لمصدر يقضي القضاء بالحق وأما الصاد فالحمل علي ما أنبأ به وأمر به فهو من أقاصيص الحق كما قال : ﴿خُنُّ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾^(١) وأيضا فإنه في السؤال بغير فأما حذف الياء يكون حملا علي اللفظ^(٢).

والمطلع علي تخريجات الحوفي للقراءات واحتجابه لكل قراءة نراه قد التزم منها معينا فيها ، فتارة يرجع القراءة إلي الناحية الصوتية وهذا هو ما نصبوا إليه في هذا القسم ، وتارة أخرى يرجع القراءة إلي الموقع الإعرابي وأحيانا إلي اللهجات العربية وغير ذلك من تعليله لكل قراءة .

ثالثا: الجانب الصوتي :

أ-تعليله الصوتي للإمالة :

يقتضينا منهج الدراسة الكشف عن معالجة الحوفي للجانب الصوتي للإمالة فالمطلع علي تخريجه للقراءات يري أنه لم يفرد للإمالة جانبا مستقلا قصد به دراستها ففرع مسائلها كما فعل السابقون عليه أو اللاحقون به^(٣) بل كشف عن القراءة في موطنها وعلل لها ففي قوله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ﴾^(٤) يقول : قرأ أبو عمرو والكسائي في رواية أبي عمر " أَبْصَارِهِمْ " بالإمالة والباقون بغير إمالة فمن أمال قال لمجاورة الألف وهي مكسورة وكسرة الراء مقام كسرتين

١ - سورة يوسف الآية ٣.

٢ - الحوفي : البرهان ٦٠/١٠.

١. قصدنا السابقين عليه مثل: ابن مجاهد، واللاحقين: مكي وغيره.

٢. سورة البقرة آية ٧

لما فيها من معني التكرير فطلب أن يكون عمل اللسان عملاً واحداً مع قوة الكسرة ، ومن لم يمل قال الكسرة ليست بلازمة إذ كانت إعرابا ، مع أن التفخيم أجود لأنه أهل الحجاز وهي الأصل ، والإمالة فرع وهي لغة تميم " (١) .

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (٢) .
ويقول: قرأ حمزة بامالة " جاء وشاء وخاف " فللإمالة في جاء وشاء لتدل علي الياء التي الألف منقلبة منها والإمالة في خاف لتدل علي الكسرة في الواو لنا الأصل " حَوْفًا " والباقون يفتحون علي الأصل وهو لغة قريش ، وكل إمالة فأما لياء أو كسرة أو حرف ممال طلباً للمشاكله والإمالة لغة تميم (٣) وفي قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا ﴾ (٤)

يقول : قرأ حمزة و الكسائي بكسرهما كوكباً بكسر الراء في كل القرآن ابن عامر يكسرهما فيما وليهما ظاهر ، أبو بكر يكسرهما في هذا الموضع حسب ، وأبو عمر بفتح الراء وكسر الهمز ، الباقر بفتحهما في جميع القرآن ، فأن لقيهما ساكن كسر الراء وفتح الهمزة حمزة ، أبو بكر فتحهما الباقر . فالإمالة في هذا للألف لتدل أملتها علي انقلب عن الياء والهمزة تابعة لها . والراء تابعة للهمز ليكون العمل من وجه واحد وإمالتها مع الظاهر دون المضمير فلأنها ترجع مع المضمير إلى الياء في بعض الأحوال وهي مع الظاهر ألف مع كل حال ، ولزوم الإمالة لموضع واحد دون سائر المواضع فلإتباع الراءة وأما فتح الراء وكسر الهمزة من الألف والألف يتبعها ما يليها وفتح الراء فليبعدها عن الألف ومن

٣ - الحوفي : البرهان ١/٤٧

٤ - سورة البقرة آية ٨٩ .

٥ - الحوفي : البرهان ١/٤٧

٦ - سورة الأنعام آية ٧٦ .

فتحتها جميعاً فعلى الأصل لان الأصل الفتح والإمالة عارضة للدلالة على الياء وما يؤول إلى معنى الياء في الألف المنقلبة من الواو لأن التصريف يردّها إلى الياء في بعض المواضع^(١).
والحوفي بهذا حدد الإمالة بقوله: "وكل إمالة فإما لياء أو كسرة أو لإتباع حرف لحرف ممال طلباً للمشاكلة"^(٢). وهو بهذا التحديد قد أوضح ما قاله سيبويه حيث يقول:
"الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور وذلك قولك: عابد، وعالم، ومسجد، ومفاتيح إنما إمالتهم للكسر التي بعدها"^(٣).

فسيبويه قصر الإمالة للألف، وحدد أنها تمال للكسر التي بعدها، في حين أن الحوفي لم يجعل الإمالة مقصورة على الألف بل على الألف، والفتح يقول: "ومن فتحهما جميعاً فعلى الأصل لأن الأصل الفتح"^(٤).

كما أنه لم يجعلها للكسرة فقط بل للياء والكسرة ولا تباع حرف لحرف ممال. واتفق معه مكي حيث يقول: أعلم أن العلل التي توجب الإمالة ثلاث: وهي الكسرة ومما أميل ليدل على أصله، والإمالة للإمالة^(٥).
والحوفي يعلل سبب الإمالة بالآتي :-

أولاً: إذا جاور الألف الرء المكسورة المماله وبين الكسرة كما في قوله تعالى "أبصارهم" أميلت ليكون عمل اللسان عملاً واحداً^(٦)، أي يكون توافق بين الألف المماله وبين الكسر ويتفق معه مكي في تعليقه لسبب الإمالة بقوله: وعلة من أماله أنه لما وقعت الكسرة يعد الألف قرب الألف نحو الياء، لتقرب من لفظ الكسرة، لأن الياء من الكسر

١ - الحوفي: البرهان ٧٩/١٠.

٢ - الحوفي: نفسه ٧٧/٢.

٣ - سيبويه: الكتاب ٢٥٩/٢.

٤ - الحوفي: البرهان ٧٩/١٠.

٥ - مكي الكشف ١٧٠/١.

٦ - الحوفي: البرهان ٤٧/١..

ولم يمكن ذلك حتى قرئت الفتحة التي قبل الألف نحو الكسرة فحسن ذلك ليعمل اللسان عملا واحدا متسفلا^(١). والحوفي لم يكن كمكي في تحديد قرب الألف نحو الياء مخافة اللبس لان كلمة "أبصارهم" ليست من ذوات الياء فحدد أن علة من أمال: لمجاورة الألف الراء وهي مكسورة الراء مقام كسرتين لما فيها من معنى التكرار فطالب أن يكون عمل اللسان عملا واحدا مع قوة الكسرة^(٢)

والحوفي يبين أنه إذا كانت الإمالة لياء أو لكسرة أو لإتباع حرف لحرف ممال فإن عِلَّتْهَا طلباً للمشاكلة^(٣) في حين أن سيبويه يعلل الإمالة للكسرة بأنهم أرادوا أن يقربوها منها^(٤)

والحوفي بتحديدده أدق من سيبويه لأن المشاكلة: المشابهة والمائلة يقول ابن منظور: "الشكل بالفتح، والشكل أشكال وشكول.. وقد تشاكل الشيطان، وشاكل كل واحد منها صاحبه، أبو عمرو: في فلان شبه من أبيه وشكل وأشكله وشكله وشاكل* ومشاكله^(٥) والحوفي في هذا متأثر بما نص عليه أبو علي الفارسي حيث يقول: فكذلك في باب صراط وصويق. لما أريد فيه ذلك ترك الأصل إلى تشاكل الصوتين وتجانسهما^(٦).

والحوفي يرجع دائماً للأصل وينص على أن الأجود الفتح وهو لغة أهل الحجاز والإمالة فرع وهي لغة تميم^(٧). وهو لم يكن مبتدعاً في هذا بل اتفق مع سيبويه يقول " وجميع هذا لا يميله أهل الحجاز"^(٨). وأبي علي الفارسي يقول: "الألف أيضاً أصلها ألا

١ - مكي : الكشف ١/١٧٠.

٢ - الحوفي : البرهان ١/٤٧.

٣ - الحوفي: نفسه ٢/٧٧.

٤ - سيبويه : الكتاب ٢/٢٥٩.

٥ - ابن منظور: لسان العرب مادة "شَكَل"

٦ - أبو علي الفارسي . الحجة ١/٣٩.

٧ - الحوفي: البرهان ١/٤٧.

٨ - سيبويه: الكتاب ٢/٢٥٩.

تمال ، ولكن لما وقعت مع الكسرة و الياء فأريد مجانسة الصوتين و ملاءتهما أميلت، وترك الأصل الذي التفخيم والتحقيق لها^(١) .

و الحق معهم فيما قالوه، الذي توهمه بعض العلماء أن ذلك من جهة التفخيم والتعظيم ، يقول الدكتور أحمد مختار عمر: وإن من أعظم القول أن يقال ما قرأت به الجماعة و وقع في السواد المنقول عن الصحابة الذين أخذوه عن النبي صلى الله عليه وسلم أجود أو أخير والقراءات جميعها نقلت الجماعة عن الجماعة^(٢)

ولعل ما أدى إلى ذلك هو الجمع بَيْنَ ما جاء من أقوال حول الأحرف السبع التي نزل بها القرآن والتي نصَّ عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فأقرءوا ما تيسر منه" و بَيَّنَّ القراءات و القرآن و بين القراءات القرآنية فالذي عليه أكثر أهل العلم: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو اقبل وتعال وهلم ولقد بيَّن القرطبي ما جاء في البخاري ومسلم من قول الزهري: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال وحرام وما علل به الطحاوي من أن السعة كانت للناس في الحروف لعزهم عن أخذ القرآن علي غير لغاتهم فوسع لهم عي اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقا ، وقول ابن عبد البر: إن تلك الأحرف إنما كانت في وقت خاص لضرورة دعت إلي ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف وعاد ما يقرأ به القرآن علي حرف واحد^(٣) وقد قيل: المراد بقوله عليه السلام " أنزل القرآن علي سبع أحرف " القراءات السبع التي قرأ السبعة ، لأنها لانا كلها صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ليس بشيء لظهور بطلانه ، فلقد نفي العلماء ذلك :

١ - أبو علي الفارسي . الحجة ٣٩/١ .

٢ - الدكتور أحمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب ٦ .

٣ - القرطبي : الجامع لأحكام القرآن ٤٣/١ .

فليست هذه الأحرف السبع التي تنيب لهؤلاء القراء السبعة هي الأحرف السبعة التي اتسعت الصحابة في القراءات بها وإنما هي راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذي جمع عليه عثمان المصاحف^(١) وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك هي اختيارات أولئك الأئمة القراء^(٢).

وعلي هذا وعلي ما ثبت من أن عثمان أمر بإثبات القرآن بلغة قريش عندما قال "أن اختلفتم في شيء أنتم وزيد بن ثابت فاكتبوه علي لسان قريش فإنما نزل بلسان قريش"^(٣). من هذا بان لنا أن الأصل لغة قريش والحوفي لا يمنع القراءات الأخرى ومنها الإمالة حيث يقول: ولزوم الإمالة لموضع واحد دون سائر المواضع فلا تباع الرواية^(٤) وهو بهذا يأخذ بصحة الرواية وموافقة العربية وهو بهذا قد حدد علل الإمالة ووضح الفرق بين الفتح والإمالة، وأيهما الأصل وبين الجواب الصوتية في الإمالة.

ثانيا : تعليله الصوتي لتحقيق الهمز وتخفيفه :

والحوفي يعلل الجانب الصوتي لتحقيق الهمز وتخفيفه ، والأمثلة التي جاءت في ذلك كثيرة^(٥) فنقتصر علي ذكر الأمثلة التالية : ففي قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾^(٦)

يقول : قرأ أهل الكوفة وابن عامر " السُّفَهَاءُ أَلَا" بهمزتين علي الأصل ، وقرأ الباقرن بهمز الأولى وتخفيف الثانية ، والهمزة إذا كانت مفتوحة وقبلها ضمة وأردت

١ - القرطبي : الجامع ٤٧/١

٢ - القرطبي : نفسه ٤٦/١

٣ - الداني : المقنع في رسم المصاحف ٥.

٤ - الحوفي : البرهان ٧٩/١٠.

٥ - راجع : الحوفي : البرهان ٤٢/١ ، ٣٦ ، ٤٥ ، ٥٨ ، ١١٨ ، ١٨٧ ، ١٩٦ .

٦ - ٢١/٢ ، ٣٠ ، ٣٨ ، ٩٤ ، ٧٣/٢ ، ٩٤/١٠ ، ٢/١٢ .

٦ - سورة البقرة آية ١٣

تخفيفها قلبتها وأواء فمن خفف نراه جمع بين همزتين لثقلها لأن الهمزة نبرة تخرج من الصدر باجتهاد حتى لقد أنزلها سيبويه منزلة التهوع ، ومن حقق جري علي الأصل وقال هما كلمتان لأن الهمزة إنما يلزم تحقيقها إذا اجتمعت مع همزة في كل واحدة مثل آدم وآخر وأما في كلمتين فيجوز تخفيفها لأنه لا يلزم أن يكون بعدها مثلها (١).

وفي قوله تعالى ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢) يقول: قرأ أهل الكوفة وابن عامر "هؤلاء إِنْ كُنْتُمْ" بتحقيق الهمزتين، وروي عن ورش بتحقيق الأولى وتخفيف الثانية وجعلها كالمدة وقنبل عن ابن كثير معه على ذلك روي عنه تخفيف الأولى وتحقيق الثانية، وروي عن ورش أنه كان يحقق الأولى ويجعل الثانية كالياء الخفيفة مكسورة وبها قرأت على أبي بكر في اعتباره وقال هو اختياري حاتم وقرأنا أيضاً بالمدة الخفيفة.

و أبو عمرو يحذف الأولى ويحقق الثانية، من حقق الهمزتين قال هو الأصل، ومن حذف فهو الأصل ، ومن خفف أحدهما فلاستثقال الجمع بين همزتين ، ومن حذف فهو لشدة استثقاله الجمع بين همزتين فاعل الأولى بالحذف كما يدغم الأول في الثاني ، ورأى أن من خفف الهمزة فالهمزة باقية وإن كان قد أضعف الصوت بها (٣).

وفي قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنَّ ءَامرٌ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٤)

١- الحوفي : البرهان ٥٨/١ .
٢- سورة البقرة آية ٣١
٣- الحوفي : البرهان ٥٨/١ .
٤- سورة المائدة آية ٦٩ .

يقول : كلهم علي التخفيف والأخر بالهمزة إلا ناعفا فانه قرأ " الصابون " ووجه القراءة أن يكون علي التخفيف والأخر أن يكون من صبا يصبوا فيكون التقدير "الصابيون" فاستثقلت الضمة علي الياء فحذفت فسكنت الياء وبعدها الواو ساكنة فحذفت فسكنت الياء وبعدها الواو ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين ، والمهمون من يصبأ إذا خرج ، يقال : صبأ ناب البعير ، وصبأ سن الصبء ، روي عن سعيد بن جبير أنه قرأ والصابئين بالعطف علي الذين (١) ، وقد ذكرهم فيما تقدم (٢) .

ولقد استدرك عليه ابن بري بقوله : "ولقد أنكر أبو طاهر أن يكون الصابون مخففا من الصابئون لأن ذلك يوجب أن يجعل بَيْنَ بَيْنٍ ولا يحذف ، وصحح الوجه الثاني وهو أن يكون من صبا يصبو ، والذي ألزم المصنف غير لازم له لأنه إنما خفف الصابئون علي مذهب أبي الحسن الأخفش في قلب الهمزة المضمومة المكسور ما قبلها ياء وذلك نحو قوله مستهزئون والخاطئون ومتكئون ، وقد روي ذلك عن حمزة في الوقف ولما صارت الياء في مستهزئون وخاطئون بمنزلة الياء الأصلية في اللفظ عوملت معاملتها فنقلت حركة الياء علي ما قبلها وحذفت كما تحذف في مثل قولك القاضون والرامون فصار مستهزون وخاطون ومتكون وقد روي ذلك عن حمزة أيضاً (٣) .
والذي نميل إليه ما قال به الحوفي للأسباب التالية :

١. أن التخفيف إنما جاء علي البدل ، فأبدل الهمزة بياء مضمومة ، فلما انضمت الياء إلي الواو والقي الحركة علي الياء ، واستثقالا للضم علي حرف علة ، حذفت

١- يقول الحوفي : أن الذين آمنوا ، الذين آمنوا اسم إن ، والذين هادوا عطف عليه والنصارى والصابئين عطف أيضاً ٢٠٠/١ ، وقرا نافع الصابين والصابون حيث وقع بلا همز ، الباؤون يهمزون ، فالهمز من قولهم صبا في الدين صبوا ، وترك الهمز علي وجهين أحدهما أن يكون خفف الهمزة والوجه الآخر أن يكون من صبا إلي اللهو يصبوا صبوا "٢٠١/١٠"

٢ - الحوفي : البرهان ٧٣/٩.س

٣ - الحوفي : البرهان ٧٣/٩.

الضمة فسكنت الياء، فاجتمع حرفان ساكنان، فحذف الأول لالتقاء الساكنين^(١) فصارت "الصابون" وهي مخففة من الصابئون وبهذا لا يكون لاستدراك ابن بري علي الوجه الأول وجه.

٢. وان تصحيح ابن بري للوجه الثاني لم يكن له وجه أيضاً، وذلك أن الحوفي يقول والأخر أن يكون من "صبا يصبو" فيكون التقدير الصابئون فاستثقلت الضمة علي الياء فحذفت فسكنت الياء لالتقاء الساكنين^(٢) لهذا التبس الأمر علي ابن بري أهو بالإبدال أم بالاعتلال، والصحيح أن يكون بالاعتلال، قد حذف لامه في الجمع، وهي واو مضمومة، فجري الاعتلال علي إلقاء حركة الواو علي الياء^(٣) فاستثقلت الضمة علي الياء فحذفت وبعدها الواو ساكنة فحذفت الياء لالتقاء الساكنين. والأصوب في التعليل أن يقال: وحذف الواو الأولى لسكونها وسكون واو الجمع أو يائه بعدها فهي في الاعتلال قولك رأيت الغازية وهؤلاء الغازون^(٤).
٣. أن العرب كانوا يسمعون من يدخل في دين الإسلام مَصْبُوءاً لأنهم كانوا لا يهمزون فأبدلوا من الهمزة واواً، ويسمعون المسلمين الصُّبَاة بغير همز، كأنه جمع الصَّابِي غير مهموز كقاض وقضاه وغاز وغازه^(٥).

و على هذا فما قال به الحوفي أقيس مما أستدرك به ابن بري عليه.

وفي قوله تعالى ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِجْرٌ عَلِيمٌ﴾^(٦) يُرِيدُ أَنْ تَحْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ.. ﴿١٣٧﴾

١- مكي: الكشف ١/٢٤٦.
٢- الحوفي: البرهان ٩/٧٣.
٣- مكي: الكشف ١/٢٤٧.
٤- مكي: نفسه ١/٢٤٧.
٥- ابن منظور اللسان مادة: "صبا"
٦- سورة الأعراف آية ١٠٩، ١١٠، ١١١.

يقول: قرأ أبو عمرو: أرجئُهُ وأخاه بهمزة والهاء مضمومة من غير واو وابن كثير وهشام مثل أبي عمرو غير أنهما يصلان الهاء بواو ابن ذكوان "أرجئُهُ" بالهمزة وكسر الهاء من غير بلوغ ياء ولا همز، حمزة الكسائي وعاصم بإسكان الهاء من غير همز. فالهمز الأصل وحذف الواو على الاستخفاف مع تقدير الساكنين^(١). ثم يعلل ذلك بقوله: لأن الهاء ليست بحاجز قوي لخفائها وهو الأكثر ومن وصل بواو فهو الأصل^(٢)، وهو لا يرتضي قراءة ابن ذكوان يقول: ومن همز وكسر الهاء بغير ياء فليس يجيد لأن الهمز حرف جلد يعتد به حاجز على الكسرة في الجيم ومن كسر الهاء من بلوغ ياء ولم يهمز فلكسرة الجيم والاجتزاء بكسرة الهاء عن الياء ومن وصل بالياء من غير همز فعلى الأصل كما أن كسر ما قبل الهاء أبطل من الواو ياء ومن يجنز بالكسر منها، ومن أسكن الهاء ولم يهمز فعلى لغة من يقول: "أرجيت" إذا لغزته فحذف الياء للأمر وأسكن الياء على نية الوقف، وقيل سكنت الهاء على الأصل لأن أصلها السكون وإنما قويت لخفائها بالواو^(٣).

فالحوفي بهذا يبين حكم الهمزة إذا خفت وكان ما قبلها ساكنا يقول: تطرح حركة الهمزة على الساكن الذي قبلها وتحذف^(٤) وهو بهذا يتفق مع سيبويه فسيبويه يقول: "أعلم أن كل همزة متحركة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفف حذفها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها^(٥) والحوفي بهذا يرتضي تعليل سيبويه لحذف الهمزة فيقول: يقول سيبويه: تحذف الهمزة لكسرتها استخفافا لكثرة الاستعمال^(٦) والكتاب ولعل الحويفي برده لما قال به محمد بن زيد في تعليقه لحذف الهمزة كان متنبها

١ - الحويفي: البرهان ١٢ / ٢.

٢ - الحويفي: نفسه ١٢ / ٢.

٣ - الحويفي: نفسه ١٢ / ٢.

٤ - الحويفي البرهان ١٢ / ٤٢.

٥ - سيبويه: الكتاب ٢ / ٥٤٥.

٦ - الحويفي: البرهان ١ / ٤٢، الكتاب ٣ / ٥.

للعلة التي أوجبت الحذف وهي أما الحركة لما أُلقيت أصبحت لازمة وأصبحت بمنزلة الأصل بقوله: "ألا ترى أن نطق بساكنين في كلمة"^(١) ومكي يتفق معه فيما قال به محمد بن زيد يقول: "إن كان الساكن قبل الهمزة ليس بحذف مد ولين، ولا بحرف لين أُلقيت عليه حركة الهمزة في التخفيف، ولا يجوز غير ذلك نحو المسألة، المشأمة والقرآن وشبهه تقول في التخفيف: المسلة، والمشمة والقرآن فتلقى حركة الهمزة على الساكن قبلها وتحذف استخفافا: تحذفها لسكونها وسكون ما قبلها، لأن الحركة عليها عارضة والأول أحسن"^(٢).

أما في التقاء الهمزتين يقول سيبويه: وأعلم أن الهمزتين إذا التقتا وكانت كل واحدة منهما في كلمة فإن أهل التحقيق يخفون إحداها ويستثقلون تحقيقهما لما ذكرت لك، كما استثقل أهل الحجاز تحقيق الواحدة فليس في كلام العرب أن تلتقي همزتين وفتحققا ومن كلام العرب تحقيق الآخرة، وهو قول أبي عمرو، وذلك قولك: "فقد جاء أشراطها"، "يا زكريا إنا نبشرك"، "ومنهم من يحقق الأولى ويخفف الأخرى سمعنا ذلك من العرب، وهو قولك: "فقد جاء أشراطها"، "يا زكريا إنا"^(٣).

فسيبويه في هذا لا يقول بتحقيق الهمزتين، ويقول بالتخفيف والحوفي يخالف في ذلك حيث يحدد أن التحقيق هو الأصل حتى عند من خفف يقول: ورأي أن من خفف الهمزة فالهمزة باقية وإن كان قد أضعف الصوت بها^(٤). إلا أن تعليل مكي للهمزتين محققين فهو يقول: وعلة ذلك أنه لما جاز انفصال الأولى من الثانية آل الأمر إلى جواز

١ - الحوفي: البرهان ٤٢/١

٢ - مكي: الكشف ١١٠/١.

٣ - سيبويه الكتاب: ٥٤٩/٣.

٤ - الحوفي: البرهان ٥٨/١.

انفراد كل واحدة من الأخرى، وذلك غير ثقيل، فجاز الجمع بينهما محققين، إذ الأولى في كلمة والثانية في كلمة أخرى^(١).

هذا وأن كان قد حدد وجهين للتخفيف فالحوفي قد حدد أربعة أوجه للتخفيف:

الوجه الأول: تحقيق الأولى وتخفيف الثانية وجعلها كالمدة وبها قرأ ورش وقنبل عن ابن كثير.

الوجه الثاني: تخفيف الأولى وتحقيق الثانية، قرأ بها قنبل.

الوجه الثالث: تحقيق الأولى وجعل الثانية كالياء الخفيفة مكسوة قرأ بها ورش يقول

الحوفي: وبها قرأت على أبي بكر في اعتباره، وقال هو اختيار أبي حاكم.

الوجه الرابع: حذف الأولى وتحقيق الثانية قرأ بها أبو عمرو.

أما إذا كانت الهمزة ساكنة وقبلها متحرك: يقول سيبويه:

فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي منه الحركة التي قبلها؛ لأنه ليس

شيء أقرب منه ولا أولى به منها^(٢).

والحوفي لم يأخذ بهذا القول على إطلاقه، واتفق معه مكي في تعليقه لحركة الهمز

في قوله تعالى "أرجه وأخاه". يقول مكي: والهمز في هذا الفعل وتركه لغتان، يقال

أرجيته، وأرجأته^(٣)، وهذا يتفق مع قول الحوفي: الهمز الأصل وحذف الواو على

الاستخفاف مع تقدير التقاء الساكنين، والهمز مع الوصل بواو هو الأصل. ومن أسكن

الهاء ولم يهمز لغة من يقول أرجيت فحذف الياء للأمر وأسكن على نية الوقف^(٤)

ويعلل الحوفي الناحية الصوتية في هذا بقوله: إنَّ الهاء ليست بحاجز قوي

لخفائها. والهمز حرف جلد يعتد به حاجزا عن الكسرة في الجيم^(٥)، ثم يؤكد بأن الهاء

قويت بالواو لخفائها^(٦).

١ - مكي: الكشف ٧١/١.

٢ - سيبويه: الكتاب ٥٤٤/٣.

٣ - مكي: الكشف ٤٧٠/١.

٤ - الحوفي: البرهان ٢/١٢.

٥ - الحوفي: نفسه ٢/١٢.

٦ - الحوفي: نفسه ٢/١٢.

و يتفق ذلك مع قول سيبويه حيث يقول: واعلم أن الهمزة إنما فعل بها هذا من لم يخففها لأنه بُعدَ مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجا فثقل عليهم ذلك لأنه كالتهرع (١)

وهي عند الحوفي حرف ثقيل: والحجة لمن همز أن يهمز الأصل – ومن ترك الهمز فلان الهمزة ثقيلة تخرج من الصدر باجتهاد فأثوا بالتخفيف لهذا (٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمْ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٣)

يقول: قرأ الكسائي أريتم وأريت وأفريتم وبابه تحذف الهمزة، نافع بتليينها الباقيون بتحقيقها، فالهمزة على الأصل لأن ذلك إنما يترك في المستقبل مثل: يرى وترى فأما الماضي فلا، والتليين لاجتماع الهمزتين همزة الاستفهام وعين الفعل، ومن حذف بناء على المستقبل لأنه أصل والماضي فرع فحمل الفرع على الأصل وحذفها في المستقبل لكثرة الاستعمال، وأنشد الكسائي في ترك الهمزة:

أريـت أـمـرأ لـم أـبـلـه
أتاني فقال اخذني خليلا (٤)

والحوفي يرى أن الهمزة هي أول الحروف مخرجا مخالفا بذلك الخليل بن أحمد الذي جعل العين هي أول الحروف مخرجا، يقول: ويقال لم أختيرت الهمزة ليوصل بها إلى الساكن دون غيرها من الحروف.

الجواب؛ لأن الهمزة تختل بها يلحقها من التخفيف والبدل والحذف فجعلنا هذا سبيله تثبت تارة وتحذف ويجوز أن يكون لما احتاجوا إلى حرف يبتدئ به في أول الكلام جعلت الهمزة لأنها أول الحروف مخرجا فجعل الأول للأول (٥).

١ - سيبويه: الكتاب ٥٤٨/٣.

٢ - الحوفي: البرهان ٣٧/١.

٣ - سورة الأنعام آية ٤٠.

٤ - الحوفي: البرهان ٤٤/١٠.

٥ - الحوفي: نفسه ٦٠/١.

ثالثاً : تعليله الصوتي للإدغام :

والحوفي في تعليله للإدغام يورد أمثلة كثيرة، نقتصر على ذكر بعضها منها: ففي قوله تعالى: "الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ". يقول أهل الحجاز و بنو أسد يقولون رَحِيم و رَغِيف و رَغِيف بفتح أولها و قيس و ربيعة و تميم يقولون رَحِيم و رَغِيف بكسر أولها، و أدغمت اللام في الراء لقربها منها و كثرة لام التعريف، و هي تدغم في ثلاثة عشر حرفاً لا يجوز فيها معهن إلا الإدغام و تلك الحروف: النون و الراء و الطاء و الدال و التاء و السين و الصاد و الذال و الظاء و الثاء و الضاد و الشين و اللام (١) و هو بهذا يتفق مع سيبويه في إدغام اللام في تلك الحروف (٢).

و في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٣)

يقول: قرأ حفص عن عاصم وابن كثير " ثم اتخذتم " بالإظهار و قرأ الباقر بالإدغام فمن اظهر فلأنهما من كلمتين، و من أدغم فللقرب المخرجين أبدال الذال تاء ثم أدغم التاء في التاء و ذلك حيث وقع (٤).

و في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ هَٰؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دَيْرِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ (٥)

يقول: اختلفوا في تشديد الظاء و تخفيفها ها هنا و في التحريم، فقرأ أهل الكوفة بالتخفيف و الباقر بالتشديد فمن شدد فالأصل يتظاهرون قلبت التاء ظاء و أدغمت الظاء في الظاء لقرب مخرجيهما و من خفف استثقل تاءين متحركتين في أول الكلمة فحذف احديهما و هي تاء التفاعل، و قد جاء مثل قوله تعالى

١ - الحوفي: البرهان ٦/١، ٦٠/٢، ٣٧/٤.

٢ - سيبويه: الكتاب ١/٣٥٧.

٣ - سورة البقرة آية ٥١.

٤ - الحوفي: البرهان ١/١٧١.

٥ - سورة البقرة آية ٨٥.

﴿... وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ...﴾ والأصل يتمنون (١).

والحوفي في تعليقه للإدغام قد اتفق مع السابقين عليه، ففي بيانه لإدغام لام التعريف يحدد أنها تدغم في ثلاثة عشر حرفاً وهو متفق مع سيبويه إلا أن مكياً زاد حرفاً حيث يقول: واعلم أن لام التعريف تدغم في أربعة عشر حرفاً بلا اختلاف في ذلك (٢) والحرف الذي زاده مكياً هو حرف الزاي، ولم ينص عليه الحوفي وتابع سيبويه في ذلك وعلل الحوفي لهذا الإدغام بقوله: وأدغمت اللام لقربها منها وكثرة لام التعريف ومكياً لا يتفق معه في ذلك: يقول وعلّة إدغام لام التعريف في هذه الحروف أن مخرجها من مخارج هذه الحروف في الفم (٣)

والحوفي بتعليقه أدق من مكياً فمخارج الحروف تتراوح بين طرف اللسان ووسطه أما التعميم بالفم فليس في هذا القول من الدقة مما يحدد مخارج هذه الحروف واحدة.

والحوفي في تعليقه للإدغام في قوله تعالى: "ثُمَّ أُتِّخِذْتُمْ" يحدد أن الإدغام لا يتم إلا للحروف المتقاربة في المخرج يقول: من ادغم فلقرب المخرجين أبدل الذال تاء ثم ادغم التاء في التاء (٤)

فمخرج الذال والتاء متقاربين من طرف اللسان، ويتفق مكياً مع الحوفي في ذلك فمكياً يقول: واعلم أن الإدغام لا يحسن في غير المثلين ويقوى إذا سكن الأول، وهو على ضربين، أحدهما إذا كان الحرفان متقاربين في المخرج والحرف الأول أضعف من الحرف الثاني، فيصير بالإدغام إلى لفظ القوي. فذلك حسن جيد (٥).

١ - آل عمران: من الآية ١٤٣ / الحوفي: البرهان ٦٧/٢.

٢ - مكياً: الكشف ١٤١/١.

٣ - مكياً: الكشف ١٤١/١.

٤ - الحوفي: البرهان ١٧٠/١.

٥ - مكياً: الكشف ١٣٥/١.

وكذلك في " تظاهرون " فالإدغام يستوجبه قرب المخرجين حتى يكون عمل اللسان عملاً واحداً.

والحوفي يرد على بعض القراءات ولا يرتضيها ففي قوله تعالى ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (١)

يقول: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وورش يَخِصِّمُونَ " بفتح الياء والحاء وتشديد الصاد والحاء وتشديد الصاد غير أن أبا عمرو ويختلس حركة الخاء (٢)، حمزة وقالون بإسكان الخاء غير أن حمزة يخفف الصاد، وقرأ عاصم والكسائي وابن عامر بفتح الياء وكسر الخاء، فمن فتح وشدّد الصاد فالأصل عنده يَخِصِّمُونَ ألقى حركة التاء على الخاء وشدّد وقلب التاء صاداً وادغم الصاد في الصاد، ومن كسر الخاء وشدّد الصاد حذف الحركة من التاء ولم يلقها على الخاء وقلب التاء صاداً وادغم الصاد في الصاد فالتقى ساكنان فكسر الخاء على أصل التقاء الساكنين، ومن قال يَخِصِّمُونَ بتخفيف الصاد أخذ من خصم يخضم كأنه قال يفعلون الخصومة وكأنه أراد يخضم بعضهم بعضاً، وأما من سكن الخاء وشدّد الصاد فإنه يجمع بين الساكنين وهذا لا يجوز ولعل القارئ لما سمع حركة الخاء مختلصة على حد ما روي عن أبي عمرو ظن أن القراءة بسكون الخاء وكثيراً ما يقول القراء لمن يقرأ أسكن يريدون المبالغة في الاختلاس لعلمه أنه لا يقدر على الإسكان إنما يريد تمكين الاختلاس فيظن القارئ أنه يُسَكَّن ولما يسكن ومثله ما تقدم في نِعَمًا على قراءة من يسكن العين ولا يجوز الجمع بين ساكنين في المدغم إلّا فيما فيه حرف مد ولين

١ - سورة يس آية ٤٩.

٢ - يقول مكي عن معنى كلمة يختلس حركة الخاء: فأعطاها حركة مختلصة أو مخفأة لئلا يدل بذلك على أن أصل الخاء السكون، فيدل على أصلها أنه السكون نقص الحركة المختلصة والمخفاه حركة ناقصة. " الكشف عن وجوه القراءات ٢/٢١٨.

مثل دابةٍ وشابةٍ لما في حرف المد من اللين الذي يقوم مقام الحركة و مثل ذلك ما يروي عن أبي عمرو من الإسكان في بارئكم وإنما الإرادة بذلك الاختلاس (١)
فالحوفي لا يجوز قراءة من أسكن و اتفق معه مكي يقول: وقد روي عن أبي عمرو أنه أسكن الخاء، وهو بعيد" (٢).

و إذا كان معنى الإدغام إدخال شيء في شيء، فمعنى: أدغمت الحرف في الحرف أدخلته فيه، فجعلت لفظة كلفظة الثاني فصارا مثلين (٣)

فالحوفي إنما أراد به قرب المخرجين ليكون عمل اللسان عملاً واحداً فيسهل بذلك النطق

رابعاً : تعليبه للصوتي للإشمام :

و في تعليبه للإشمام يبين الجانب الصوتي فيه، ففي قوله تعالى: " اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ " . يقول قرأ بالسين في الصراط ابن كثير، وقرأ حمزة في رواية خلف عن سليم بين الصاد والزاي، وقرأ الباقر بالصاد، الحجة لمن قرأ بالسين أنه أصل الكلمة لأنه من "سرطته أسرطه إذا بلغته"، فهو طريق يمر عليه كما تمر لقمة البالع في حلقومه، ومن قرأ بالصاد فليؤاخي منها و من الظاء فأبدل من السين حرفاً من مخرجها مؤاخيها للطاء ليتفقا بالإطباق والاستعلاء، و من أشم و نحا نحو الزاي فلأن الزاي مجهورة و الطاء مجهورة و كل ذلك طلباً للمشاكلة ليكون عمل اللسان عملاً واحداً، و الاختيار الصاد لأن الحرفين المتشاكلين أحسن في المسموع من المتقاربين، و أيضاً فإنه حكي أنها لغة قريش (١)

و في قوله تعالى ﴿ وَقَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ مِّنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤﴾

١ - الحوفي: البرهان ٤/٢٤.

٢ - مكي: الكشف عن وجوه القراءات ٢١٨/٢.

٣ - مكي: نفسه ١٤٣/١.

٤ - سورة البقرة آية ٢٤٤، ٢٤٥.

يقول: واختلفوا في يقبض ويبسط في البقرة وبسطه في الأعراف والمسيطرون وبمسيطر فقرأ أبو عمرو ويبسط ببسطه بالسين والمصيطنون وبمصيطن بالصاد، فمن قرأ بالصاد أراد المؤاخاة بين الصاد والطاء لأنهما مطبقتان، ومن قرأ بالسين فعلى الأصل ومن أشم وأراد المؤاخاة أيضا لشبغ الزاي بالطاء بالجهر والصاد والإطباق^(١) وهو بهذا يبين أن الإشمام إنما احتيج إليه طلبا للمشاكلية ليكون عمل اللسان عملا واحداً، ثم يحدد أن اختيار الصاد أحسن في المسموع من المتقاربين لأنهما حرفان متشاكلان لأنهما أخف على اللسان، لأن الصاد حرف مطبق كالطاء في تقاربان وتحسنان في السمع، والسين حرف مهموس فهو أبعد من الطاء^(٢).

على هذا المنوال عالج الحوفي الجانب الصوتي في القراءات :

١. فحدد الإمالة، فالإمالة عنده إمالة لياء أو لكسرة أو لإتياع حرف لحرف ممال طلبا للمشاكلية.
٢. وأن المشاكلية عنده تعني المماثلة ليكون عمل اللسان عملا واحداً.
٣. وأن من خفف الهمزة ولم يحققها فقد قصد الاستخفاف لكثرتة وكثرة الاستعمال.
٤. وأن الهمزة ثقيلة تخرج من الصدر باجتهاد فأتوا التخفيف لهذا.
٥. وأن الإدغام لا يتم إلا للحروف التماثلة والمتقاربة في المخرج.
٦. وأن الإدغام يستوجب قرب المخرجين ليكون عمل اللسان عملا واحداً.
٧. وأن الإشمام إنما احتيج إليه طلبا للمشاكلية ليكون عمل اللسان واحداً.

وعلى ذلك تكون مقاييس القراءات القرآنية عند الحوفي :

أ. المشاكلية :

وتعني المماثلة أي تماثل حروف المخارج أو تماثل الصوتين وهذا يكون في الإمالة والإدغام والإشمام وعلّة ذلك أن يكون عمل اللسان عملا واحدا طلبا للتخفيف ولأن الحرفين المتشاكلين أي التماثلين أحسن في المسموع من المتقاربين.

١ - الحوفي: البرهان ٩٦/٤.

٢ - أبو علي الفارس: الحجة في القراءات ٢٦/١، ٣٧.

ب. الرجوع إلى أصل اللهجة :

والحوفي بهذا الصنيع يرجع إلى أصل اللهجة فهو في تعليقه للفتح والإمالة يقول :
والأصل الفتح وهي لغة قريش، والإمالة فرع وهي لغة تميم .

ج. الخفة :

و من مقاييس القراءات عنده التخفيف ويكون ذلك في عدة أمور :

١. إذا كان عمل اللسان عملاً واحداً كان أيسر وأخف على اللسان لأنه لم ينتقل من حرف إلى حرف لأن الحرفين المختلفين يكونان من مخرجين مختلفين وهذا تثقيل على اللسان ، بينما الحرفان المتشاكلان فمخرجهما واحد وهذا أخف على اللسان .
٢. أن تخفيف الهمز طلباً للاستخفاف لأن الهمزة ثقيلة تخرج من الصدر باجتهاد فإذا خففت كان خفيفة على اللسان .

د. الكشف عن المعنى :

والحوفي لم يقتصر تخريجه للقراءات على الجانب الصوتي فقط، بل جاء تخريجه للقراءات كاشفاً للمعنى ومبيناً له، ففي قوله تعالى ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُونَهَا وَخُفُونَ كَثِيرًا ﴾ (١) .
يقول قرأ ابن كثير وأبو عمرو: " يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيراً بالياء في جميعه، الباقون بالتاء، فوجه الياء ذكر اليزيدي عن أبي عمرو قال يعني أهل الكتاب و علمتم ما لم يعلموا يعني المسلمين، لأن العرب لم يكن لها قبل ذلك كتاب فاختار أبو عمرو ذلك لمجيئه بعد الناس المخبر عنهم ، يقول ﴿ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ ﴾ (٢) يعني اليهود فجعل الفعل لهم لقربه منهم، ووجه التاء أن قبله " قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى... " (٣) فأمر الله نبيه

١ - سورة الأنعام آية ٩١ .

٢ - سورة الأنعام آية ٩١ .

٣ - سورة الأنعام آية ٩١ .

محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يسألهم مخاطبا لهم ثم ختم الكلام أيضا بمخاطبته لهم في قوله له (...وَعَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ...) (١). و علمتم فيما أنزله عليكم في الكتاب فأجرى ما توسط من ذلك مجرى ما قبله وبعده ليكون على سياق واحد (٢).

والحوفي بهذا يوجه المعنى على حسب القراءة فمن قرأ بالياء كان المعنى بذلك أهل الكتاب ومن قرأ بالتاء كان المعنى المسلمون، وتضريح الحوفي للقراءات وتوجيهها للمعنى كثير (٣).

والحوفي ببراعته النحوية يوجه القراءات حسب مقتضيات النحوليكشف المعنى في صورة جلية واضحة، ففي قوله تعالى ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ (٤)

يقول قرأ نافع وابن عامر فدية طعام مساكين "بترك التنوين في فدية وخفض طعام و جمع مسكين، والباقون بتنوين فدية ورفع طعام وتوحيد مسكين، فمن نون ابدال الطعام من فدية ووحد مساكين لأن المعنى: لكل يوم طعام واحد منهم ومن أضاف فدية ولم ينون فلابهام الفدية لأنها تقع الطعام وغيره فإضافتها إلى الجنس كإضافة نون خمسين ومائة (٥)

وقد تقدم القول في تطوع بالتاء والياء، وتروي قراءتان شاذتان يُطَوَّقُونَهُ بضم الياء وفتح الطاء وتشديد الطاء والواو بمعنى يتطوقونه وأدغم التاء في الطاء (٦)

وهو في توجيهه للقراءات حسب مقتضيات النحو يستدل بآيات من القرآن تأكيدا لكلامه وتقوية له، ففي قوله تعالى ﴿وَلَا تَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا

١ - سورة الأنعام آية ٩١.
٢ - الحوفي: البرهان ٩٠/١٠.
٣ - راجع الحوفي: البرهان ٦٨/٣، ٧٥/٤، ١٣٠/٨، ٧٠/٩.
٤ - سورة البقرة آية ١٨٤.
٥ - أي إنهما لا يضافا إلى المفرد " راجع بن عقيل : ٤٠٦/٢.
٦ - الحوفي: البرهان ٦٤/٣.

ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ تَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيهَا أَفْتَدْتُمْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴿١﴾

يقول قرأ حمزة إلا أن يُخَافَا بضم الياء، الباقون بفتحها خاف فعل يتعدى إلى مفعول فإن أردت تعديته إلى مفعول ثانٍ عديته بحرف الجر فقرأه الجماعة بالفتح أن وما عملت فيه في موضع نصب بتأخذوا وقد تعدى إلى أن في قوله تعالى ﴿.....تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ.....﴾^(٢). وقوله ﴿.....أَمْ تَخَافُونَ أَنْ تَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمَ.....﴾^(٣). وإن أردت تعديته إلى مفعول ثانٍ بغير حرف الجر ضعفت العين، كما قال عز وجل ﴿.....تُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ.....﴾^(٤)

أي يخوف المؤمنين وأولياءه فحذف المؤمنين ، أن يخافا على قراءة حمزة في موضع جر على قول الخليل والكسائي لأن حرف الجر مراد على قول سيبويه وغيره في موضع نصب، ثم جعل الفعل ولم يسم فاعله فصار المنصوب مرفوعا ومثل حذف حرف الجرو نصب المفعول قوله "استغفر الله ذنبا" أي من ذنب، فأما ما حذفته منه حرف الجر غير أن فإن الخليل وغيره لا يقول إنه في موضع جر، وإنما يقولان ذلك في أن لأنها تطول بالصلة فيحذف حرف الجر وهو مراد وفي غيرها من المحذوفات إنما تحذف استخفافا فلا يراد هذا معنى قولهم^(٥).

والحوفي في توجيهه للقراءات حسب مقتضيات النحو يوضح الحكم الفقهي، ففي قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾^(٦) يقول

- ١ - سورة البقرة آية ٢٢٩.
- ٢ - سورة الأنفال آية ٢٦.
- ٣ - سورة النور آية ٥٠.
- ٤ - سورة آل عمران آية ١٧٥.
- ٥ - الحوفي: البرهان ٥٢/٤.
- ٦ - سورة المائدة آية ٦.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وأبو بكر عن عاصم: "وأرجلكم بالخفض الباقون بالنصب فالنصب على التقديم والتأخير والتقدير: فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وأرجلكم إلى الكعبين وامسحوا برؤوسكم، والخفض بالعطف على الرؤوس فيكون المراد بالمسح الغسل حُكِّيَ ذلك عن أبي زيد ومنه تمسحت للصلاة وحُكِّيَ في بعض التفاسير فطفق مسحاً بالسوق والأعناق" أنه غسلها من الغبار فالمسح يتوجه إلى وجهين أحدهما الغسل كما ذكرنا والآخر إمرار اليد على الموضع، ويؤكد معنى الغسل إذ قريء بالخفض أنه محدود كما حدثت الأيدي ولو كان المراد به المسح كان غير محدود في نظيره وامسحوا برؤوسكم ولم يحدد ذلك كما حددت الأرجل وكذلك ما جاء في المسح في أرجلهم كان غير محدود ويجوز أن يكون ذلك يداً على المخفوض المراد به الغسل أن يكون في الكلام حذف دل عليه التحديد كأنه "وأرجلكم غسيلاً كما قال:

ياليت زوجك قد غدا متقلداً سيفاً ورمحاً

وكذلك قوله: علفنُها تيناً وماءً بارداً

أي وسقيتها ماءً بارداً، ويؤكد الغسل أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم غسل قدميه وفي ألفاظه صلى الله عليه وسلم إذا غسل قدميه خرجت الخطايا من قدميه (١). والحوفي على هذا المنوال في معالجاته لجانب القراءات وتخريجاته النحوية لها والأمثلة على ذلك كثيرة (٢).

ولما كان الوقف ركناً مهماً من أركان القراءات فلقد عُنيَ به الحوفي عناية فائقة فبعد أن خصص جانباً مستقلاً عالج فيه القراءات القرآنية أفرد لكل آية من آيات النص القرآني مبحثاً مستقلاً عالج فيه الوقف والتمام ولقد بيّن أركان الوقف في أول آية تناوله

١ - الحوفي: البرهان ١٣٠/٨.

٢ - الحوفي: نفسه ١/٥٧، ١٣٦، ١٥٩، ١٨٧، ٦٠/٢، ١٠٦، ١٢٤، ٢/٣، ٤، ١٧، ٢٩، ٧٨، ٥٢/٤، ٦٤، ٧٥، ٩٦، ١٠٩، ١١٢، ١٢١، ٢١/٨، ٤٤، ٤٨، ٥٣، ٦٣، ٤٤/٩، ٤٨، ٥٣، ٦٣، ٦/١٠، ٢٣، ٣٠، ٣٣، ٥٣، ٥٧، ٨٣، ٩٨، ١١٠، ٣٥/١٢، ٢٦، ٣٨، ٥/٢٨، ١٩، ٢١.

بالشرح والتفسير ثم طبق ذلك على بقية آيات النص القرآني جامعا في كل ذلك بين ما جاء في أقوال العلماء حول أنواع الوقف وبين تعليقاته لتلك الأقوال ، ففي قوله تعالى (مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ^(١) يقول الوقف على مالك يوم الدين حسن وهو التمام الثاني من هذه السورة على قوله من عد (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) آية وهو الأول على قول من لم يعدها آية من الحمد والوقف وهو القطع على آخر كلام من حمل مفهومه ونظيره القطع والسكت والفصل و نقيض الوقف الدرج و نقيض القطع الوصل و نقيض السكت الحركة للكلام و نقيض الفصل الوصل والحاجة إلى الوقف الراحة عند انقطاع النفس وهي حاجة ضرورية إذ لا يمكن امتداد الصوت إلى الخروج عن العادة وهو ينقسم أربعة أقسام: تام وحسن وكاف وصالح، فالتام هو الكلام المفيد المعنى على الصحة من غير تعلق بما بعده من زيادة فائدة وقال بعضهم التام ما يوقف عليه ويحسن الابتداء بما بعده من غير تعلق بغيره كقوله عز وجل (أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) ^(٢) والحسن كل كلام أفاد وأدى المعنى على الصحة واتصلت به زيادة فائدة على المعنى الأول كقوله عز وجل (خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ...) ^(٣) وإلى هذا المعنى أيضا يؤول معنى الكافي والصالح يقارب هذا أيضا غير أنه قد عطف عليه ما يحسن الابتداء به ولكنه له به متعلق لا يتم معنى الأول إلا به. الحسن ما تم كلام وأدى المعنى على الصحة ولكن في المعطوف عليه زيادة فائدة المعنى الأول ^(٤).

١ - سورة الفاتحة آية ٢ .
٢ - سورة البقرة آية ٥ .
٣ - سورة البقرة من آية ٧ .
٤ - الحوفي: البرهان ١٤/١ - ١٥ .

والحوفي بهذا قد بيّن لنا معنى الوقف بأنه القطع وبيّن فائدته وهي الراحة عند انقطاع النفس، وبيّن أنواعه في قول وجيز دال دون إطالة كصنيع ابن الجوزي (١) والزرکشي (٢)، السيوطي (٣)، وغيرهم ممن تكلم في هذا الفن .

وكما قلنا فإن الحوفي قد طبق ذلك على النص القرآني فلم يترك آية إلا وبيّن فيها الوقف والتمام وأقوال العلماء في ذلك والأمثلة على ذلك كثيرة (٤).

ففي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا ﴾ (٥) إلى قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ... ﴾ (٦)

يقول قال أحمد بن جعفر ظن الجاهلية تمام، وقال غيره هل لنا من الأمر من شيء وقوله " كله لله " حسن، كذلك ما قتلنا هاهنا وكذا إلى مضاجعهم والتمام " والله عليم بذات الصدور" (٧).

- ١ - أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت ٥٩٧ هـ له كتاب " فنون الأفتان في عجائب علوم القرآن " مخطوط دار الكتب المصرية رقم ٢٢٢ تفسير تيمور.
- ٢ - الزرکشي: الإمام بدر الدين محمد عبد الله الزرکشي ت ٧٩٤ هـ. و كتابه البرهان في علوم القرآن . أفرد للوقف النوع الرابع والعشرون وقسمه إلى أقسام وأنواع وفصول وتوسع فيه تنظيرا دون أن يعرض ذلك على آيات القرآن " البرهان ١/٣٤٢-٣٧٥".
- ٣ - جلال الدين السيوطي: كتابة الإتيان في علوم القرآن أفرد للوقف والابتداء النوع الثامن والعشرون وتوسع فيه تنظيرا دون التطبيق " الإتيان ١/١٠٩-١١٨ " .
- ٤ - راجع ملحق الرسالة نماذج من صنيع الحوفي في الوقف والتمام .
- ٥ - سورة آل عمران آية ١٥٤ .
- ٦ - سورة آل عمران آية ١٥٤ .
- ٧ - الحوفي: البرهان ٦/٧١.

القسم الثاني

عناية الحوفي بالاشتقاق و التصريف اللغوي كظاهرة لغوية

كانت عناية الحوفي بالجوانب الاشتقاقية والتصريفية لا تقل أهمية عن باقي الجوانب والمباحث اللغوية التي تعرض لها في تفسيره، فهو كما بيَّنا في القسم الأول بيَّن الجوانب الصوتية في القراءات القرآنية وعلَّل لكل جانب لإمكان النطق السليم لكل كلمة خوفاً من اللحن في قراءات القرآن وطمعاً في تقويم اللسان وفي هذا القسم أراد الكشف عن المعنى وإبراز المدلول اللغوي لكل كلمة من خلال معرفة أصول الكلمات وفروعها والعلاقات بينها وطرق صوغ بعضها من بعض وفي هذا يستفاد من علم الاشتقاق، إذ يعدُّ علم الاشتقاق من أعمق علوم اللغة العربية بجذورها^(١)

ولقد اجمع أهل اللغة - إلا من شدَّ منهم - أن للغة العرب قياساً، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض. واسم الجن مشتق من الإجتنان وأن الجيم والنون تلان أبداً على الستر تقول العرب للدرع جُنَّة، وأجَنَّهُ الليل وهذا جنين، أي في بطن أمه، وأن الناس من الظهور يقولون "آنست الشيء"؛ أبصرته وعلى هذا سائر كلام العرب^(٢) هذا كما يُعدُّ القاعدة الأساسية التي يركز عليها علم الصرف وعلم النحو والتي لا يستند بناء علم اللغة إلا على أساسها، لأن موضوعه الكلمة من حيث أصلها وما تفرع منها، والتي هي المادة الأساسية لسائر علوم اللغة^(٣) ولهذا قالوا إن مدلول الجواهر بخصوصها يعرف من اللغة، وانتساب بعض إلى بعض على وجه كلي، إن كان في الجوهر فالاشتقاق وإن كان

١ - محمد صديق خان: العلم الخفاق من علم الاشتقاق

٢ - السيوطي: المزهرة ٣٤٥/٢.

٣ - محمد صديق خان: السابق ٦.

في الهيئة فالصرف، فظهر الفرق بين العلوم الثلاثة و أن الاشتقاق واسطة بينها ، ولهذا استحسنا تقديمه على الصرف، وتأخيره عن اللغة في التعليم (١)
ولما كانت مباحث الاشتقاق تدور حول الكلمة من حيث أصلها وما تفرع منها
آثرنا أن نبدأ به

أ- المباحث الاشتقاقية عند الحوفي :

لم بقصد الحوفي برصده لتلك المباحث التنظير أو التععيد بل قصد التطبيق مباشرة فهو كعالم لغوي تنبه إلى رد الفروع المأخوذة من الأصول إليها، حيث رد كل كلمة إلى أصلها اللغوي للتعرف على مدلولات الألفاظ.

ولكي نقف على قصد الحوفي لا بد لنا من ذكر أمثلة مما جاءت في تفسيره . ففي قوله تعالى (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، يقول في اشتقاق اسم قولان : أحدهما؛ أنه من سما يسمو إذا علا وارتفع. والثاني : أنه من السمة وهي العلامة وهذا خطأ لأنك إذا جمعته قلت أسماء فتزاد لام الفاعل وكذلك تصغيره " سُمِّي " ولو كان من السمة لقلت في تصغيره " وَسِيْم " كما تقول في تصغيره " وعيده " ولا تدخل ألف الوصل على ما حذفته منه الفاء كالزنه و ما أشبه ذلك .

والناقص من اسم موضع اللام تشبها بما حُذِف من الفعل إذا كان الاسم إلى الفعل اقرب من الحرف، وفيه أربع لغات: إسم بكسر الهمزة، واسم بضمها واسم بكسر السين و سُم بضمها، يقال:

باسم الذي في كُلِّ سورة سمه * * * * * قد وردت على طريق تعلمه

وكذلك قوله:

والله أسماك سُمِّيَ مباركاً * * * * * آثرَكَ اللهُ له إيثاركاً (٢)

١ - محمد صديق خان: السابق ٦٨ .

٢ - البيت من الرجز المشطور يقول بن خالد القناني:

راجع الإنصاف في مسائل الخلاف ١٥/١، اللسان : مادة "سَمَ وَ " .

وزن " اسم" فِعْلٌ و جمعه أسماء لقولك: قنوا إقناء، و حنوا إحناء، و لا يصلح أن يكون فعلاً لأن جمع فِعْلٍ أفعل، و الاسم كلمة تدل على معنى دلالة إشارة دون الإفادة دون الإشارة، و قيل الاسم يدل على معنى في نفسه مفرد من الزمان المختص، و الفعل يدل على المعنى و زمان مختص، و الحرف من كان معناه في غيره مما عناه فيه و ذكر أبو عبيدة أن اسم الشيء هو الشيء بعينه و أنشد:

إلى الحول ثم اسمُ السلامِ عليكما * * و من يبكِ حِوْلاً كاملاً فقد اعتذر^(١)

يريد ثم السلام عليكما، و منه قوله تعالى ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ ... ﴾^(٢) بمعنى سبح ربك، و كذا قوله ﴿..... بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾^(٣) و قوله ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ... ﴾^(٤) و قوله ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا ... ﴾^(٥)

و تقول ضرب زيدٌ عمراً، تريد المسمى ضرب المسمى، و قد تريد الاسم التسمية كقولك: سميتُه يزيد أي وسمته بهذه العلامة و أوضحته بها فهذا بحسب قصد القاصد في إرادة التسمية و المسمى فإذا قلت سميتُه زيداً فمعناه جعلته يدعى زيداً، قال سيبويه ثم تقول عرفته يزيد فهو سوى ذلك المعنى يريد في دخول الباء السمة بالعلامة و الايضاح له بهذه التسمية و سميتُه زيداً أي جعلته يدعى زيداً فهو سوى ذلك المعنى^(٦).

و الحوفي بهذا القول يخطئ المذهب الكوفي^(٧) القائل بان اشتقاق الاسم من السمة و يبيِّن سبب خطأ هذا القول و يأتي بالأدلة و البراهين على صحة القول الأول، ثم

١ - البيت للبيد بن ربيعة. راجع ديوان القصيدة ٢١. و الحول السنة الكاملة .

٢ - سورة الأعلى آية ١ .

٣ - سورة الواقعة آية ٧٤ .

٤ - سورة المائدة آية ١٧ .

٥ - سورة يوسف آية ٤٠ .

٦ - الحوفي: البرهان ٤٠٢/١ .

٧ - المذهب الكوفي القائل: أن الاسم مشتق من الوسم - و هو العلامة- و احتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنه مشتق من الوسم لأن الوسم في اللغة هو العلامة" أبو البركات الأنباري: الإنصاف ٦/١ ."

يفرّق بين الاسم ككلمة تدل على معنى دلالة إشارة دون الإفادة وبين الاسم المراد به التسمية ويؤيد المذهب البصري^(١) القائل بأن الهمزة في أول الاسم همزة التعويض إنما تفتح تعويضاً عن حذف اللام لا عن حذف الفاء، لأن القياس فيما حذف منه لأمه أن يُعَوِّضَ بالهمزة في أوله، وفيما حذف منه فاءه أن يُعَوِّضَ بالهاء في آخره، والذي يدل على صحة ذلك أنه يوجد في كلامهم ما حذف فاءه و عوض بالهمزة في أوله^(٢).

فإذا انتقل إلى بيان اشتقاق اسم الله زاد الأمر وضوحاً يقول: زعم سيبويه أن الأصل "إلاه" على وزن "فعال" ولكنهم حذفوا الهمزة لكثرة الاستعمال و عوضوا منها الألف واللام عوضاً لازماً فصارت الألف واللام بمنزلة شيء من نفس الحرف لا يفارقان الاسم وإلاه مستعمل في الكلام قال الله عز وجل: "... نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ..."^(٣) في إضافة الألف واللام فيه بمنزلةتهما في الرجل لأنهما قد يفارقان الرجل فتقول "رجل" ولا يكون مثل هذا في اسم الله عز وجل، وقيل الأصل "لاه" وينشد:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسبٍ * * * عني ولا أنت ديانِي فَتَخْرُونِي^(٤).

أي ولا أنت مالك أمري فتسوسني والإلاه المستحق للعبادة وقيل هو القادر على ما تحقق به العبادة، وقد قلنا إن الألف واللام في اسم الله عوض لازم من الهمزة المحذوفة ونظير حذف الهمزة من هذا الاسم حذفهم إياها من أناس، وندخل الألف واللام فنقول الناس " وليست الألف واللام في الناس بعوض ولو كانتا عوضاً لثبتتا كما ثبتتا في اسم الله ولم تحذفها والدليل على أنها ليست بعوض قول الشاعر:

إن المنايا يَطَّلِعَنَّ على الأناسِ الأَمِينَا

١ - أبو البركات الأنباري: نفسه ٩-٨/١.

٢ - أبو البركات الأنباري: نفسه ٩/١.

٣ - سورة البقرة آية ١٣٣.

٤ - البيت لذي البصبع - حرثان بن الحارث بن محرث - العدوانى - شرح بن عقيل ٢٣/٢

فلو كانتا عوضاً من الهمزة لما جاز إثباتهما مع وجود الهمزة لأن العوض والمعوّض منه لا يجتمعان^(١).

والحوفي بهذا القول يؤيد قول سيبويه من أن اسم الله مشتق من إله وليس من لاه. وقول الحوفي قريبٌ من قول ابن جرير الطبري حيث يقول: فكذلك "الله" أصله لاله أسقطت الهمزة التي هي فاء الاسم، فالتقت اللام التي هي عين الاسم، واللام الزائدة التي دخلت مع الألف الزائدة وهي ساكنة، فأدغمت في الأخرى التي هي عين الاسم فصار في اللفظ لاما واحدة مشددة^(٢).

وفي اشتقاق "الرحمن الرحيم" يقول: هما مشتقتان من الرحمة إلا أن فعالان أشد مبالغة عندهم من فعيل، وأصل الرحمن النعمة من قوله: ﴿...هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي...﴾^(٣) أي نعمة ولا يجوز أن يكون أصل الرحمة الرقة، وتقول "رَحِمَهُ" أي استقصى علاجه أي أحسن إليه وانعم عليه ولورقٌ عليه لم يعالجه وأبتدىء بذكر الرحمن على الرحيم لما فيه من المبالغة مع أنه صار كالعلم إذا كان لا يوصف به إلا الله عز وجل، وما كان من الأسماء أعرف أن فسبيله أن يبدأ ثم تبع الأنكر، وقيل قدم الرحمن على الرحيم من جهة التنزيل لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكتب باسمك اللهم حتى نزلت ﴿... بِسْمِ اللَّهِ جَبْرُهَا...﴾^(٤) فكتب بسم الله ثم نزل ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ...﴾^(٥) فكتب بسم الله الرحمن ثم نزل فكتبها ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٦)

١ - الحوفي: البرهان ٢/١ - ٥ .
 ٢ - الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن ١/١٢٥، ١٢٦ .
 ٣ - سورة الكهف آية ٩٨ .
 ٤ - سورة هود آية ٤١ .
 ٥ - سورة الإسراء آية ١١٠ .
 ٦ - الحوفي: البرهان ٢/١ - ٣ .

ولعل ابن جابر الطبري في تعليقه لتقديم اسم الله علي الرحمن وتقديم الرحمن على الرحيم أو في من الحوفي، فالطبري يقول فبدأ الله جل ثناؤه باسم الذي هو "الله" لأن الألوهية ليست لغيره جل ذكره من وجه من الوجوه لا من جهة التسمي به ولا من جهة المعنى وإن التسمي به قد حرمه الله جل ثناؤه أو لا ترى أن الله جل جلاله قال في غير آية من كتابه: "أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ" (١) فاستكبر ذلك في المعربة، وقال تعالى في خصوصه نفسه بالله وبالرحمن ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى...﴾ (٢) ثم تنى باسمه الذي هو الرحمن، إذا كان قد منع أيضاً خلقه التسمي به. وغير جائز أن يستحق بعد الإلوهية أحد دونه فلذلك جاء الرحمن ثانياً لأسمه الذي هو الله وأما اسمه الرحيم فقد ذكرنا أنه مما هو جائز وصف غيره به فكان واقعاً من مواقع نعوت الأسماء اللواتي من توابعها (٣).

وعلى ذلك فقول الحوفي الأعراف والأنكر لا وجه له، لأن أسماء الله جل ثناؤه لا يصح أن يطلق عليها لفظ الأنكر.

وفي ترجيح الحوفي لبعض المذاهب وتخطئه لبعضها هدف إلى تحليل المادة اللغوية وبيان الأصول المشتقة منها، وهو لا ينسى أن للمشتق شروطاً:
أحدها: أن يكون له أصل، فإن المشتق فرع مأخوذ من لفظ آخر. ولو كان أصلاً في الوضع غير مأخوذ من غيره لم يكن مشتقاً.

ثانيهما: أن يناسب المشتق الأصل في الحروف، إذا الأصالة والفرعية باعتبار الأخذ لا تتحققان بدون التناسب بينهما، والمعتبر المناسبة في جميع الحروف الأصلية فان

١ - سورة النمل آية ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤ .

٢ - سورة الإسراء آية ١١٠ .

٣ - ابن جرير الطبري: السابق ١٣٣/١ .

الأستسباق من السبق مثلاً يناسب الاستعجال من العجل في حروفه الزائدة والمعنى وليس بمشتق منه بل من السبق.

ثالثهما: المناسبة في المعنى سواء لم يتفقا فيه أو اتفقا فيه (١).

والحوفي يرجع رأياً ويأخذ به ثم يعرض للرأي الآخر تاركاً للقارئ حرية الاختيار ويرجع الاشتقاق للميزان الصرفي ففي قوله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (٢).

يقول: في اشتقاق الناس: والأصل في الناس الإناس ثم حذفوا الهمزة:

إِنَّ الْمَنَآيَا يَطَّلِعْنَ عَلَى الْأُنَاسِ الْأَمَانِيَا

وإنسان في اشتقاقه قولان أحدهما أن يكون من نسي، والآخر أن يكون من الأنس كان وزنه عنده فعلان و من أخذه من نسي كان وزنه إفعالن إلا أن اللام حذفت والأصل إنسيان و إن لم يتكلم به و دليله تصغيره إنسيان قال سيبويه: وليس يتكلم به يعني الأصل، وقالوا في الجمع أناسي بالتشديد والتخفيف، فمن قال إنه من نسي كان وزنه فيمن شدده أفاعيل، و من خفف أفاعل، و من أخذه من الأنس كان وزن التشديد فعالي و من خفف فعالي، قد قال قوم إن الناس ليس بمحذوف منه الهمزة و أن أصله ناس و صغروه "نويس" فكأنه أن هؤلاء من ناس ينوس نوسا وهو تحرك الشيء في الهواء كنوس القرط المعلق في الأذن (٣).

فالحوفي إذن يرجح المذهب القائل بأن الأصل في الناس الأناس. وهو قول أبي الهيثم في رواية المنذري، والأزهري لم يرتض هذا التعليل يقول: وهذا الذي قاله أبو الهيثم تعليل النحويين، وإنسان في الأصل إنسيان وهو "فعليان"، من الأنس والألف فيه فاء

١ - محمد صديق خان: السابق ٧٧.

٢ - سورة البقرة آية ٨.

٣ - الحوفي: البرهان ٥٠/١.

الفعل ... والجوهري ينتصر للمذهب الأول يقول: وتقدير إنسان " فعلان" وإنما زيد في تصغيره ياء كما زيد في تصغير رجل فقيل: رويجل. والأناس لغة في الناس، قال سيبويه والأصل في الناس الأناس مخففا فجعلوا الألف واللام عوضا عن الهمزة^(١).

وكذلك في اشتقاق آدم في قوله تعالى ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) يقول في اشتقاق آدم قولان أحدهما: أنه مأخوذ من أديم الأرض وهو وجهها، وإذا سميت به من هذا امتنع من الصرف في المعرفة فإن نكرته انصرف بإجماع، والقول الآخر: أنه مأخوذ من الأدمة وهي اللون الذي يقارب السواد، والأصل فيه الإيل والظباء بياض، وإذا كان من الأدمة كان صفة، فان سميت به امتنع من الصرف في المعرفة فان نكرته لم ينصرف علي مذهب سيبويه وانصرف علي مذهب الأخفش، الأصل فيه أدم بهمزتين إلا أن العرب لأتجمع بين همزتين في كلمة واحدة فخففوا الثانية فصارت مدة وإذا جمعته وهو اسم قلت آدمون وإن شئت أودام كما تقول: أحمد وأحامد وان جمعته صفة قلت أدم كما تقول: حمز في جمع أحمر^(٣).

ولما كان الغرض من الاشتقاق تحصيل ملكة يعرف بها الانتساب علي وجه الصواب^(٤). وكانت غايته الاحتراز عن الخلل في الانتساب^(٥). ولهذا جاءت عناية الحوفي بالاشتقاق وصولا لهذا الغرض وتحقيقا لتلك الغاية، إذ أن معرفة أصل الكلمة والمادة المشتقة منها يأمن الالتباس ويؤدي إلي المعني المنشود.

فنراه في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ...) ^(٦)

١ - ابن منظور: لسان العرب - مادة أنس ١٤٧.

٢ - سورة البقرة آية ٣١.

٣ - الحوفي: البرهان ١/١١٨، ١١٧.

٤ - محمد صديق خان: العلم الخفاف ٩٨.

٥ - محمد صديق خان: نفسه ٩٨.

٦ - سورة البقرة آية رقم ٦.

يقول : وأصل الكفر الستر ، قال لبيد بن ربيعة :

تعلو طريقةً متنها متواتراً **** في ليلَةٍ كَفَرَ غَمَامَهَا

أي سترها وغطاها ، ويسمي الزراع كافراً لأنه يستر الحب ، ويقال كفر النعمة إذا سترها بجوده لها (١) .

فلما كشف لنا المعنى عن أصل الكلمة برز لنا المعنى وأصل الكلمة إنما يختص به

علي الاشتقاق ، ففي قوله تعالى ﴿... وَإِذَا حَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ...﴾ (٢)

.. يقول : الشيطان مشتق من الشطن وهو البعد وقيل هو من الشيط وهو الاحتراق

فإذا كان من الشطن كان وزنه "فيعالا" وان كان من الشيط كان "فعلان" (٣) فالحوفي

يستخدم الميزان الصرفي ليكشف عن أصل الكلمة ، وهو كثيرا ما يعتمد على الجانب الصرفي

للوصول إلى الكلمة ففي قوله تعالى (... إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ...) يقول: هو لا ينصرف لأنه

أعجمي معرفة ومن قال أن إبليس مأخوذ من الإبلاس وهو المباعدة من رحمة الله وإنه

عربي وانه إنما امتنع من الصرف لأنه أشبه الأعجمي من حيث إنه له نظير في الأسماء

العربية فقد غلط لان نظيره "إزهيل" اسم للشفرة "وإعريض" اسم للطلع وإعريض" اسم

صبح أحمر وسيف إصليت (٤) .

وفي قوله تعالى ﴿... أَهْبَطُوا مِصْرًا...﴾ (٥) يقول : وهي مشتقة من مصرت

النشاة امصرها مصرا إذا حلبت كل شيء في ضرعها فليل : سميت مصر لاجتماع الخير فيها

كاجتماع اللبن إذا حلب ، وقيل : إن المصر الحد بين الأرضين ، وان أهل هجر يكتبون

١ - الحوفي : البرهان ٤٥/١ .

٢ - سورة البقرة آية ١٤ .

٣ - الحوفي: البرهان ٦٠/١ .

٤ - الحوفي : نفسه ١٢٦/١ .

٥ - سورة البقرة آية ٦١ .

اشترى الدار بمصورها أي بحدودها ، قال عدي بن زيد (١) .

وجعل الشمس مصرًا لإخفاءً به **** بين النهار وبين الليل قد فصلا
فقليل مصر لأنها بين المغرب والمشرق والحجاز و بلاد الروم (٢) .

فالحوفي عن طريق ما كشفه من اشتقاق الاسم حدّد لنا المقصود من كلمة مصر .
وفي قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصْرَى وَالصَّبِيَّيْنَ ...) (٣)
يقول و النصارى جمع واحدهم نَصْرِي كما تقول مُهْرِي و مهاري و يجوز أن يكون واحدهم
نَصْرَان و نصرانه قال الشاعر : (٤)

فَكَلْنَاهُمَا حَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهُ **** كما أَسْجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تُحْنَفِ

وقيل إنما سميت النصارى لان قرية عيسي عليه السلام كانت تسني ناصرة وكان
أصحابه يسمون النصارين ، وكان يقال لعيسي ناصري والنسب إلي ناصرة نَصْرَانِي علي
غير قياس و يجوز أن يكون نصراني مشتقا من النصر والتناصر وهو التعاون (٥) و الحوفي
بقوله الأول متفق نع سيبويه ، و بإجازته للقول الثاني الذي وافقه عليه ابن سيدة يقول
ابن منظور: قلت نصارى كما قلت ندامى ، فهذا أقيس (٦) .

وفي قوله تعالى ﴿... وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ...﴾ (٧) يقول
والمسكنة من السكون وكأنها خشوع الفاقة أي قللت حركاتهم ، روي عن أبي العالية

١ - ذكر ابن منظور أن هذا البيت من قول أمية يقول :والمصر الحاجز والحدّ بين الشينين ، فال أمية يذكر حكمة
الخالق تبارك وتعالى : وجعل الشمس مصرًا لإخفاءً به ***** بين النهار وبين الليل قد فصلا .
قال ابن بري : البيت لعدي بن زيد العبّادي راجع ابن منظور :اللسان مادة " مَصْرَ " و ما قال به ابن منظور من
أن ابن بري هو الذي نسب البيت إلى عدي بن زيد غير دقيق ، فالذي قال بذلك الحوفي في تفسيره راجع الحوفي:
البرهان ١/١٩٥ .

٢ - الحوفي : البرهان ١/١٩٥ .

٣ - سورة البقرة آية ٦٢ .

٤- ذكر ابن منظور: أن هذا البيت لأبي الأخرز الحماني، يقول قال أبو إسحاق: واحد النصارى في احد القولين نَصْرَان
كما نرى مثل ندمان و ندامى و الأنثى "نصرانة" مثل ندمانة و أنشد لأبي الأخرز الحماني يصف ناقتين راجع ابن
منظور : اللسان - مادة نَصْرَ .

٥- الحوفي البرهان ١/٢٠١ .

٦- ابن منظور :اللسان "مادة نَصْرَ" .

٧- سورة البقرة آية ٦١ .

والسدي وابن زيد هي خشوع الحاجة والفاقة وذلكها وهذا في اليهود الذين كانوا بعد موسى لأنهم كفروا وبدلوا وغيروا وقتلوا الأنبياء فأخبر الله عز وجل أنه أبدلهم بالعز ذلاً وبالنعمة بؤساً وبالرضا عنهم غضبا ، وفرق قوم بين الفقر والمسكنة وإن كانت كل واحدة منهما علي معنى الأخرى للتقارب والتسمح وهذا كثير ما يقع في اللغة تجعل الشيء مكان مقاربه قالوا فالمسكين الذي لاشيء ، واحتجوا بقوله ﴿... فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ...﴾^(١) ، قالوا الفقير الذي لاشيء له ، وقال جمهور أهل اللغة فالمسكين الذي لاشيء له مأخوذ من السكون ويحتج قائلوا هذا مع الاشتقاق بقول النبي صلى الله عليه وسلم " إن المسكين ليس بالطواف الذي التمرة و التمرتان والأكلة والأكلتان ولكن المسكين الذي لا يجد غنأً يغنيه ولا يسأل الناس إحافاً"^(٢) ، فهو يربط بين الاشتقاق وقول الرسول صلى الله عليه وسلم ليصل إلى المعنى.

وهو بالاشتقاق يكشف المعنى ففي قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾^(٣)

يقول: جبلا نصب بأضل كثيراً نعت لجبلا يقرأ بضم الجيم وسكون الياء وتخفيف اللام وبكسر الجيم وبتشديد اللام وضمها وتخفيف اللام، فالضم جمع جبيل و جبيل معدول من مجبول، فقتيل وصريع والإسكان على هذا الاستئصال الضمتين والتشديد على جمع جبلة وهو مشتق من جبل الله الخلق أي خلقهم^(٤) ، ولهذا جاءت عناية الحوفي بالاشتقاق وصولا لهذا الغرض إذ أن معرفة أصل الكلمة والمادة المشتقة منها يأمّن اللبس ويؤدي إلى المعنى المقصود.

١- سورة الكهف آية ٧٩.
٢- الحوفي: البرهان ١ / ١٩٨، ١٩٩.
٣- سورة يس آية ٦٢.
٤- الحوفي: البرهان ٢٤ / ١٩.

ب- التصريف عنده :

الصرف أو التصرف - لغة - هو التغيير والتحويل من وجه لوجه أو من حال لحال.... وللصرف - اصطلاحا - معنيان: أحدهما عملي وهو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل إلا بها كتحويل المصدر إلى اسمي الفاعل والمفعول واسم التفضيل واسمي المكان والزمان والجمع والتصغير والآلة. والثاني علمي وهو علم بأصول تعرف بها أحوال أبنية الكلمة التي ليس بإعراب ولا بناء^(١).

وعلى هذا فموضوع الصرف يشمل أبنية المفردات العربية وفي الأسماء المتمكنة والأفعال المتصرفة من حيث البحث عن كيفية صياغتها لإفادة المعاني المختلفة، أو من حيث البحث عن أحوالها العارضة من صحة وإعلال، وإبدال وإدغام ووقف، ونحوها^(٢) ومن هذا المنطلق ورغبة في الوصول إلى المعنى جاءت عناية الحوفي بهذا الجانب ولهذا يقول ابن جني نقلا عن المازني: التصريف: إنما ينبغي أن ينظر فيه من قد تَقَبَّ في العربية فان فيه أشكالا وصعوبة علي ما ركبه غير ناظر في غيره من النحو، وإنما هو الإدغام والإمالة للقراء للقرآن^(٣) كما يقول: والتصريف يحتاج إليه جميع أهل العربية أتم حاجة، وبهم إليه أشد فاقة لأنه ميزان العربية، وبه تعرف أصول كلام العرب من الزوائد الداخلة عليها، ولا يوصل إلى معرفة الاشتقاق إلا به وقد يؤخذ جزء من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصل إلى ذلك إلا عن طريق التصريف^(٤) وعلى هذا فالحوفي علي مدي النص القرآني لم يترك كلمة سواء كانت اسما أو فعلا إلا بيّن الأوجه الصرفية فيها ليصل إلى المعنى المقصود، فإذا مرت به شائبة تمنع من الصرف نَبّه عليها، وسنقتصر علي ذكر بعض الأمثلة علي ما جاء في تفسير من معالجاته الصرفية

١- د. خديجة الحديثي: أبنية الصرف عند سيبويه ٢٣.
٢- ابن جني: المصنف شرح تصريف المازني ٣٤٠/٢.
٣- بن جني: نفسه ٣٤٠/٢.
٤- ابن جني نفسه ٣/١.

١- بيانه من (المندوح من) (الصرف) :

ففي قوله تعالى (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ كَثَرْتُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ) (٢)

يقول : مواطن جمع موطن لا تنصرف لأنه ليس له مثال في الواحدة (٢). وما قال

به الحوفي وافقه عليه ابن مالك وذكره في علله التسع وشرحه ابن عقيل يقول : وإنما يمتنع الاسم من الصرف إذا وجد فيه علتان من علل تسع ، أو واحده منها تقوم مقام علتين ، والعلل التسع يجمعها قوله :

عدلٌ ووصفٌ وتأنيتٌ ومعرفةٌ **** وعجمةٌ ثم جمعٌ ثم تركيبٌ

والنون زائدة من قبلها ألفٌ **** ووزن فعلٍ ، وهذا القول تقريب (٣)

فلما اجتمعت في كلمة مواطن علة الجمع وأنها ليس لها مثال في الواحدة امتنعت

من الصرف كما بين الحوفي أن كلمة "حنين" تنصرف يقول : وصرف حنين لأنه اسم مذكر

اسم لواد بين مكة والطائف ومن العرب من لا يصرفه يجعله اسماً للبقعة أو للبلدة ، وهذا الأسماء اعني أسماء البلدان إذا قصدت بها التأنيت لم تنصرف (٤). قال الأخطل :

كَدَبْتُكَ عَيْنُكَ أَمْ رَأَيْتَ بَوَاسِطٍ **** غَلَسَ الظَّلَامُ مِنَ الرِّبَابِ خِيَالاً

فصرف: وقال آخر فلم يصرف دابق :

لقد ضاع قومٌ قلدوك أمورههم **** بدابق إذ قيل العدو قريب

١ - سورة التوبة آية ٢٥.

٢ - الحوفي؛ البرهان خ ١١ بدون /مخطوط دار الكتب رقم ١٥٧ تفسير -مقصود الحوفي بذلك مصطلح "صيغة منتهي الجموع"

٣ - ابن عقيل : شرح ابن عقيل ٣٢١/١.

٤ - ابن منظور :اللسان :مادة " وَسَطٌ "يقول :وواسط :موضع بين الجزيرة ونجد يصرف و لا يصرف قال الجوهري: وواسط بلد بالصر الذي بناه الحجاج بين الكوفة والبصرة ، وهو مذكر مصرف لأن أسماء البلدان الغالب عليها التأنيت وترك الصرف ، الأمني والشام والعراق وواسطاً وديلاً وفلجاً وهجرأ فإنها نذكر وتصرف ، وقال : ولا يجوز أن تريد بها البقعة أو البلدة فلا تصرفه .

رأوا جسدا ضخما فقالوا مقاتل ولم يعلم أن الفؤاد يخيب

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا...﴾ (١)
يقول: غضبان لم ينصرف لأن فيه ألفا ونونا رائدين تشبهان حرفي التأنيث (٢)

٢- بيانه للمنصرف:

وكما قلنا إن الحوفي لم يترك كلمة علي مدار النص القرآني إلا بيّنها من الوجهة الصرفية ليقف علي معناها، وذلك لأهمية التصريف، فبالصريف يستقيم اللسان العربي ويجنبه اللحن فلاغني لعالم ولا لأديب عن دراسته، وتفهم قضاياه حتى يستقيم لهما اللسان العربي، وتهيأ أداة البيان سليمة من الخطأ بريئة من اللحن، وتتحقق لديهما القدرة علي صياغة مرادفات اللغة (٣) فإذا كان ذلك كذلك فأحوج ما يكون له لعالم التفسير أن يكشف لنا تلك الجوانب وبهذا تحصل الفائدة مركبة تُعَلِّمُ العربية من خلال فهم معاني أجل كتاب وأعظمه، وسوف نبين الطريق الذي سلكه الحوفي في هذا الجانب فإذا انتهينا من ذلك بيّنا صنيعه هذا من خلال آية واحدة كمثال علي ما نقول: ففي قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٤) حَلَّ يَحِلُّ حَالًا، وَحَلَّ يُحِلُّ حُلُولًا وَحَلَّ الْعَقْدَ حَالًا وَأَحْلَهُ إِحْلَالًا، وَاسْتَحَلَّ اسْتِحْلَالًا، وَنَحَلَّ نَحْلًا، وَاحْتَلَّ احْتِلَالًا وَتَحَالَوْا تَحَالًا وَحَالَةً مُحَالَةً، وَحَالَةً تَحْلِيلًا، وَانْحَلَّ انْحِلَالًا وَحَلَّ بِالْمَكَانِ إِذَا نَزَلَ بِهِ وَحَلَّ الدِّينَ مُحَالًا، وَحَلَّ مِنْ إِحْرَامِهِ وَحَلَّ، وَالحل الحلال والحلال المباح، ويقال طابَ طَيِّبًا وَاسْتَطَابَهُ اسْتِطَابَةً، وَطَابِيهَ مَطَابِيَةً، وَتَطَيَّبَ تَطْيِيبًا وَطَيَّبَهُ تَطْيِيبًا، وَالطيب الحلال والطيب النظيف والظهور من الطيب (٥)، فهو بهذا قد كشف عن المعنى بعد أن بيّن الميزان الصرفي.

١- سورة الأعراف آية ١٥٠.

٢- الحوفي: البرهان ٢٣/٢١.

٣- أحمد حسن كحيل: التبيان في تصريف الأسماء ص ١١.

٤- سورة البقرة آية ١٦٨.

٥- الحوفي: البرهان ٣٤/٣.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَدَشِيرِ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، يقال: جَاعَ يَجُوعُ جَوْعاً و أْجَاعُهُ إِجَاعَةٌ، و جَوْعُهُ تَجْوِيعاً، تَجَوَّعَ تَجْوَعاً، ورجل جَائِعٌ و جَوْعَانٌ، و الجوع القحط يقول: لنختبركم بشيء ينالكم من عدوكم و بسنة تنالكم فيها مجاعة و شدة و تعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم^(٢)، كما بيّن كلمة و "نَقَصَ" يقول: و يقال: نَقَصَ نَقْصاً و انتقص انتقاصاً، و تنقص تنقصاً، و استنقص استنقصاً، و نقصه تنقيصاً و النقصان الخسران^(٣).

فبالتصريف يوقفنا على المعنى الدقيق للكلمة.

وفي قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كَرَّةً فَفَنَبْرَأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٤) يقال كَرَّرَ يَكْرُرُ كَرّاً، و تَكَرَّرَ تَكَرُّراً، و كَرَّرَ تَكَريراً و تَكَرَّراً، و الكَرُّ نقيض الفرُّ و أصله الرد، يقال: كَرَّرَهُ عَلَيَّ أَي رُدَّهُ. و يقال حَسَرَ عَن ذِرَاعِهِ حَسْراً، و انحسر انحساراً و حَسْرَهُ تحسيراً، و تحسّر تحسّراً، و حَسِرَ يَحْسِرُ حَسْرَةً و حَسراً إذا كمد على الشيء الغائب و حسرت الناقاة إذا أعيت، و حَسِرَ الْبَصْرُ إِذَا كَلَّ عَنِ النَّظَرِ، و حَسِرَ حَسْرَةً و حَسراً إذا ندم و قال مرار هو ابن منقذ العدوي:

مَا أَنَا الْيَوْمَ عَلَى شَيْءٍ خِلا **** يَا بِنَةَ الْقَيْنِ تَوَلَّى بِحَسِيرٍ^(٥)
أي تنادم، و أصل الحسر الكشف^(٦).

- ١- سورة البقرة آية ١٥٥.
- ٢- الحوفي: البرهان ١٣/٣.
- ٣- الحوفي: نفسه ١٣/٣.
- ٤- سورة البقرة آية ١٦٧.
- ٥- ابن منظور: اللسان مادة "حسر".
- ٦- الحوفي: البرهان ٣٢/٣.

وفي قوله تعالى ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ ^(١) يقول: يقال: حاضت المرأة تحيض حيضا ومحیضا ومحاضا واسم المكان والمصدر قد يجيء على مَفْعِلٍ ومَفْعَلٍ قالوا: معيش ومعاش ومكين ومكان ، ولم يجيء في الحيض إلا المحيض ولم يجيء المحاض لقلته وأنشدوا لرؤية :

إليك أشكوشدة المعيش **** ومرأعوام نتفن ريشي

وقال الراعي:

بنيت مرافقهن فوق مرآلة **** لا يستطيع بها القرار مقبلا

أي قبلولة:

وهي حائض والمرأة حيضة حيض وحيضات ونساء حيض والمستحاضة التي لا يرقادها ويقال عزله يعزله عزلا، واعتزل اعتزلا ، وعزله تعزلا، والأعزل الذي لا سلاح معه، وعزلا المراد مخرج الماء من احد جانبيها والجمع عزال وكل شيء نحته عن موضع فقد عزلته ومنه عزل الوادي وأنت عن هذا بمعزل أي بمنتهى ^(٢) وفي قوله تعالى

﴿ إِن يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا ۗ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا ۗ وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مِينَتْهُمْ وَلَا مُرْتَهُمَ فَلْيَبْتِكُنَّ إِذَآنَ الْأَنْعَامِ وَلَا تُمْرَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ

١ - سورة البقرة آية ٢٢٢ .
٢ . الحوفي: البرهان ٤/٣٦ ، ٣٧ .

وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٤﴾
يَعِدُّهُمْ وَيُمْنِيهِمْ وَمَا يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١﴾

يقول مريد فعيل معدول من فاعل وأصله العلو والعنو، يقال: مرد يمرد فهو مرد من قوله تعالى ﴿... مَرْدُوا عَلَى النِّفَاقِ...﴾ (٢)

ويقال: مريد متمرّد ومنه: "صرح ممرّد" أي مطول، وقد يراد به أيضا الأملس المجرد من قولهم شجرة مرداء و غلام أمرّد .

ويقال مراد الغلام ممرّد مروداً و مرادة إذا عتا و خرج عن الطاعة (٣) وهو على هذا الحال إذا عرض لكلمة من الوجهة الصرفية بين جميع تخريجاتها في الميزان الصرفي ليصل كما بيّنا إلى المعنى المراد، ففي كلمة "فليبتكن" يقول: والتبتك التشقيق يقال بتكت الشيء إذا شققته أو قطعته أبتكه بتكاً و تبتكت الشيء أبتكته تبتكاً . وفي قوله "غرورا" يقول والغرور إيهام النفع بما فيه الضر:

فقال غره يَغرّه غرورا، و اغرّ اغتراراً تُغريراً و التغريير خلاف الحزم، و العرّة التي هي حد الشيء و عينه فهي السليمة من شائب العيوب الخالصة من الكدر، و غر الطائر فرخه يغرّه و هو إخلاصه له الطعام في حوصلته (٤).

و إذا كان التصريف هو ما يلحق الكلمة ببنيته، فهو ينقسم إلى قسمين:

أحدهما جعل الكلمة على صيغ مختلفة بضروب من المعاني، و ينحصر في التصغير والتكسير، والمصدر واسمي الزمان و المكان، و اسم الفاعل و اسم المفعول و المقصور و الممدود.

١. سورة النساء الآيات ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠.

٢. سورة التوبة آية ١٠١ .

٣. الحوفي: البرهان ٥٩/٨.

٤. الحوفي: البرهان ٥٩/٨، و الأمثلة على ذلك كثيرة، راجع ١٩/١، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣

والثاني تغيير الكلمة لمعنى طارئٍ عليها، وينحصر في الزيادة، والحذف والإبدال والقلب، والنقل، والإدغام وإذا كانت فائدة التصريف حصول المعاني المختلفة المتشعبة عن معنى واحد، فالعلم به أهم من معرفة النحو في تعريف اللغة لأن التصريف نظري ذات الكلمة والنحو نظري عوارضها^(١)، ولذلك كان التصريف من أهم العلوم التي يحتاج إليها المفسر^(٢).

ولذلك جاءت عناية الحوفي بهذا العلم لأهميته في فهم المعنى وهو في كشفه عن الوجوه الصرفية عند تفسيره للآية نصاً على بنيتها ونكتفي بذكر أمثلة لما نص عليه فمما جاء من الصيغ عنده :

١. المصدر :

ففي قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا....﴾^(٣)، يقول: وجهة مصدر وجهت الشيء أوجهه توجيهاً ووجهةً وجهةً وهو من الوجه، وقالوا ذلك في وضع يضع وضعاً وضعةً وضعاً ولم يقولوا في وعد ووزن ووهب إلا عدةً وزنةً وهباً^(٤). وهو يوضح ذلك في القول في المعنى والتفسير يقول: و الوجهة مصدر مثل القعدة والجلسة من التوجه أي متوجهة إليه بوجهه في صلاته قال الله عز وجل: "أَيُّمَّا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهَ اللَّهِ" وروي عن ابن عباس وكل وجهة هو موليها يعني بذلك أهل الأديان يقول لكل قبلة ترضونها ووجه الله حيث يتوجه المؤمنون^(٥).

وفي قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ...﴾^(٦).

١. الزركشي: البرهان ١/٢٩٧.

٢. الزركشي: نفسه ١/٢٩٧.

٣. سورة البقرة آية ١٤٨.

٤. الحوفي: البرهان ٢/٣.

٥. الحوفي: البرهان ٣/٣.

٦. سورة الأنعام آية ٩١.

يقول و ما قدروا الله حق قدره نصب بقدروا وهو مصدر والتقدير: و ما قدروا الله قدرا حق قدره، يقال: قَدَرَ قَدْرًا وَقَدِرَ تَقْدِيرًا وَالْقَدْرُ عِظْمُ الشَّيْءِ الزَّائِدُ عَلَى مِقْدَارِهِ غَيْرُهُ (١).

فالحوفي ببيانه للأوجه الصرفية كشف عن المعنى المقصود وهذا من فوائد التصريف.

١. اسم الفاعل و اسم المفعول :

ففي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيهَا...﴾ (٢)، يقول من قرأ موليتها فهو اسم فاعل من ولي يولي أي ولكل أهل ملة وجهة هم مولوا وجوههم نحوها، ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل والتقدير: ولكل أهل ملة وجهة الله موليتها إياه، ومن قرأ مولاها جعلها اسم الفاعل للمفعول كأنه ولي فهو مولاً والضمير في هذا يعود إلى كُلِّ لا غير، واسم الفاعل إذا أضيف إلى ضمير حذف التنوين معه لزيادة الضمير وزيادة التنوين مع شدة ارتباط الاسم بالضمير فمنهم من يقول الضمير في موضع نصب لأن التنوين مُقَدَّرٌ وإن كان محذوفاً ومنهم من يقول الضمير في موضع جر بحذف التنوين ولا يجوز إثبات التنوين مع الضمير وقد أنشدوا:

أمسلمتي إلى قومي سَراح

وقال أبو العباس هذه رواية شاذة والصحيح

أمسلمتي إلى قومي سَراح

فإن ثنيتَ على قول من قرأ موليتها قلتَ مولياها وإن جمعت قلتَ مولوها و هي كذلك على قراءة من قرأ مولاها غير أنك تفتح اللام تقول في الواحد مولاها وفي التثنية موليتها وفي الجمع مولوها، فإن جئتَ بالمفعول الثاني قلتَ موليتها وفي

١.. الحوفي: البرهان ٩٠/١٠.

٢. سورة البقرة آية ١٤٨.

التثنية موليا هاهما وفي الجمع مولوها هن. فإن قدمت المفعول الثاني موليهوها وإن شئت موليهها وهما موليا هما وفي الجمع هم مولوهنَّها وإن شئت جعلت بدل هنَّ ها في تقديم المفعول وتأخيرهِ (١).

فمزية اسم الفاعل كما نرى أنه يقصد الفعل المشتق منه من ناحية ثم إنه متصف بما يفعل من ناحية أخرى. وهذا أكد في تصوير الفعل (٢).

الصفة المعدولة عن المصدر :

ففي قوله تعالى ﴿ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ ﴾ (٣) يقول: بضر متعلق بيمسسك فبالضم الاسم وبالفتح المصدر يقال ضَرَّهُ يَضُرُّه ضَرًّا فالضم لما عظم والفتح لما قل والضم كالصفة المعدولة عن المصدر للمبالغة لأن المصدر الجاري على فعله قد يقع لأقل القليل فلهذا كان الضم أعم (٤).

والحوفي إذ استوقفته كلمة معتلة بَحَّتَ عن العلة فيها وبين ما حدث فيها من إعلال أو إبدال، وبين التغيير الذي يحدث في الكلمة نتيجة القلب المكاني .

و مثال الإعلال بالقلب: ما جاء في بيانه عن " المستقيم " يقول " وأصل مستقيم في الكلام مستقوم ثم نقلت الكسرة التي في الواو إلى القاف فانكسرت القاف فقلبت الواو ياءً لانكسار ما قبلها وإنما وجب ذلك لأن كل فعل معتل فانه يعتل اسمه كاعتلاله، وكل فعل صحيح فانه يصح اسمه كما صح، وإنما وجب الإعلال في الاسم كما وجب في الفعل لأن من شأن العرب إذا أعلنت الفعل من جهة أعلته في جميع جهاته ليتفق ولئلا يتنافر كما حذفوا الواو يَعد لوقوعها بين ياء وكسرة ثم حذفوها من يَعد و أعد إتباعاً (٥).

١. الحوفي: البرهان ٢/٣.

٢. د. الجويني: منهج الزمخشري ٢٢٥.

٣. سورة الأنعام آية ١٧.

٤. الحوفي: البرهان ٢٠/١٠.

٥. الحوفي: البرهان ٢٠/١.

والحوفي في هذا يجمع بين الإعلال بالقلب والإعلال بالحذف، ففي مستقيم إعلال بالقلب وفي يعد إعلال بالحذف. لأن الإعلال بالقلب إنما هو قلب الياء واواً أو الواو ياءً وهذا ما حدث في مستقيم قلبت الواو ياءً للمناسبة، أما في يعد فقلبت بالحذف للمناسبة أيضاً وهذا قصد الحوفي من قوله: ليتفق ولئلا يتنافر أي مناسبة الياء للكسرة في مستقيم ووقوع الواو بين ياء وكسرة في يعد.

ومثال التغيير الذي يكون للإدغام: وله تعالى ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ...﴾ (١) يقول الأصل في " صيب " " صيوب " فلما سبقت الياء الواو بالسكون قلبت الواو ياءً وأدغمت الياء في الياء، وقال الكوفيون: الأصل فيه " صَوِيب " ثم أدغم، لو كان كما قالوا لما أدغم كما لم يدغم طويل (٢). فالحوفي لا يرتضي قول الكوفيين ودليله عدم إدغام طويل لأن طويل على وزن صَوِيب لأن الكلمة التي يحصل فيها التغيير من أجل الإدغام توزن على أصلها قبل حدوث التغيير.

وفي قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ۖ يَنْقُومِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلِ...﴾ (٣).

يقول: تقول: حَلِي وحَلِي وحَلِي مثل ثدي وثدي وثدي والأصل حُلوى قلبت الواو ياءً لسبقها الياء بالسكون وأدغمت الياء في الياء فالكسرة لجاورة الياء وكسرة لإتباع اللام وشاهد الكسر إجماعهم على كسر " عَصِيهِمْ " والضم الأصل (٤).

ومثال الإبدال:

قوله تعالى ﴿إِنَّ آلَ صَفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ...﴾ (٥).

١. سورة البقرة آية ١٩.
٢. الحوفي: البرهان ٧١/١.
٣. سورة البقرة آية ٥٤.
٤. الحوفي: البرهان ١٧٧/١.
٥. سورة البقرة آية ١٥٨.

يقول: وقوله من شعائر الله من معالم الله التي جعلها الله لعباده مشعراً يعبدونه عندها الواحدة شعيرة بمعنى مشعرة مثل عتيد بمعنى معد، وهو مشتق من شعرت به أي علمت وهمزت شعائر لأن الياء لما لم تكن لها حظ من الحركة ترد إليه ووقعت بعد الألف وهي ساكنة وكانت الحركة مستثقلة فيها أبدلت همزة وإنما تتحمل الحركة فيها مثل معايش إذا كانت لها في الأصل لما احتيج لها لم تسلب ما كان فيها^(١)

و مثال القلب :

في قوله تعالى (إِيَّالكَ نَعْبُدُ وَإِيَّالكَ نَسْتَعِينُ) (الفاحة الآية ٦) يقول:
والياء في نستعين منقلبة من واو لأنه من "العون" والأصل يستعون ولكنهم نقلوا حركة الواو إلى العين فانكسرت وقلبت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها وكل واو تقع رابعةً فصاعداً فإنها تقلب ياءً لانكسار ما قبلها. والمصدر منه نستعين استعانةً والأصل استعوانة نقلت حركة الواو إلى العين فلما انفتح ما قبل الواو وكانت الواو إلى العين أقرب ولما انفتح ما قبل الواو وكانت الواو في نية حركة قلبت الواو ألفاً فالتقت ألفان فحذفت إحدى الألفين لالتقاء الساكنين واختلفوا في المحذوفة فقيل الثانية لأنها زائدة و قيل الأولى لأن الثانية للمعنى ولزمت الهاء عوضاً مما حذف وقد جاء من مثل هذا شيء على أصله نحو استحوذ وإنما جاء على الأصل ولم يعل ليعرف الأصل من الفرع^(٢).

١. الحوفي: البرهان ١٧/٣. وأحترز عليه ابن بري بقوله: إنما وجب قلب الألف همزة نحو: رسالة و رسائل لكون الألف لا تقبل حركة فأبدلت حرفاً قريباً من مخرجها وهو الهمزة وجب قلب الياء في شعيرة و شعائر و الواو في حمولة و حائل همزة لمشابتها للألف في الزيادة و السكون و المد فإن كانتا أصليين أو محركتين لم تهمز نحو: معايش و معاول و قساور إلا أن تكون قبل ألف الجمع ياء أو واو فإنه يجب قلبهما إلى الهمز نحو: أوائل في جمع أول و أيائل في جمع إيل " الحوفي: البرهان ١٧/٣."
و في قول ابن بري نظر فقول الحوفي بإبدال الياء همزة أجود لعلتين سكون الياء و ثبوت الأول أما قول ابن بري: بقلب الألف همزة و إطلاق الحكم على الألف المثبتة بعد التغيير زائدة فقول جانبه الصواب و الأجود قول الحوفي لأن الياء ساكنة قبلها ألف مفتوح فوجب إبدالها همزة .
٢. الحوفي: البرهان ١٧/١.

والحوفي دائماً ينصُّ على أصلية الحرف من عدمه ليكشف المعنى ففي قوله تعالى

﴿.... فَأَنْظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهَ....﴾ (١)

يقول : والهاء أصلية والأصل يتسنه هذا على قول من قال سانهت وجعل

المحذوف من سنه الهاء كما قال: (٢)

ليست بسنهاءٍ ولا رُجْبِيَّةٍ **** ولكن عرايا في السنين الجوائحِ

وتصغر سنة على هذا سُنِّيْهَةٌ ومن قال سانيت وصغرها سنية كان المحذوف

عنده للجزم الألف المنقلبة من الواو ومعناه لم تغيره السنون، وكما يقال أسنوا و سنوات

ويجوز أن يكون من السنون الذي يراد به التغيير كأنه لم يتسنن ثم أبدل من إحدى النونين

ألفا وحذفهما للجزم ثم أثبت الهاء على هذا في الوصل (٣).

والقراء لم يختلفوا في إثباتها في الوقف فمن حذف فهو الأصل لأن هذه هاء

السكت جيء بها لبيان الحركة في الوقف والوصل تبين الحركة و من أثبت أجرى الوصل

مجرى الوقف ولا يجب مثل ذلك في الإعراب لأن الإعراب دال على المعاني فلو سقط على

نية الوقف بطلت المعاني (٤). والحوفي بهذا يكشف معنى يتسنه عن طريق كشفه عن

الأصل الاشتقاقي والصرفي للكلمة.

والحوفي كعالم لغوي عالم بالاشتقاق والتصريف برز اهتمامه بهذين العلمين على

مدى تفسيره فلم يترك كلمة سواء كانت اسما أو فعلا إلا وأرجعها إلى أصلها وبيّن

١. سورة البقرة آية ٢٥٩.

٢. ذكر ابن منظور أن البيت لسويد بن الصامت و يروي :

ليست بسنهاءٍ ولا رُجْبِيَّةٍ **** ولكن عرايا في السنين الجوائحِ

و يوافق الحوفي في تصغير سنة على سنبيهة بقول: قال أبو منصور: و أجود ما قيل في تصغير السنة سُنِّيْهَةٌ على

أن الأصل سُنِّيْهَةٌ كما قالوا السفة أصلها سفهه فحذفت الياء " راجع لسان العرب مادة " سُنَّةٌ " .

٣. الحوفي: البرهان ١٣٤/٤.

٤. الحوفي: نفسه ١٣٥/٤.

أوجهها الصرفية حتى يستقيم اللسان ويجنب القارئ اللحن ويسر له الفهم وتحقق له القدرة على صياغة مفردات اللغة، وهو بهذا قد جمع بين فائدتين: فائدة تعلم العربية وفهم النص القرآني وهذا المنهج الذي سلكه الحوفي في تفسيره من أهم السمات التي تميزت بها المدرسة المصرية في التفسير. وسوف نأخذ مثالا بآيتين لكي نكتشف عن صنيعه فيهما من الوجهة الصرفية لأننا لو تتبعنا ذلك على مدى تفسيره للنص القرآني لم يمكننا أن نلم بباقي المباحث التي توضح منهجه بل يجب أن يفرد لها العديد من الأبحاث:

ففي قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهٖ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (١)

يقول في بشرى: يقال: بَشَّرْتُهُ فَبَشَّرْتُ وَنَبَشَّرْتُ وَاسْتَبَشَّرْتُ وَالمُبَشِّرَاتُ الرياح التي تهب بالسحاب والغيث لقول الله عز وجل ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ... ﴾ (٢) ويقال بَشَّرْتُهُ فَبَشَّرْتُهُ كما قرىء تبشيرهم (٣) ، يقال بَشَّرْتُهُ وَأَبَشَّرْتُهُ والاسم البشارة والبُشْرَى مأخوذة من البشرة لأنك إذا أخبرت الرجل بما بَشَّرَهُ ظهر ذلك في بشرة وجهه (٤)

وفي عَمَلُوا : يقول: ويقال: عَمَلَ عَمَلًا، وَأَعْمَلَ إِعْمَالًا، وَاَعْتَمَلَ اعْتِمَالًا، واستعمل استعمالًا وتعمَّل تَعْمُلًا، وتعاملوا تعاملًا، وعامله معاملةً، وينشد في اعتمَلَ الرجل إذا عمل بنفسه :

إِنَّ الكَرِيمَ وَأَبْيَكَ يَعْتَمَلُ **** إِنَّ لِمِ يَجِدُ يَوْمًا عَلَى مَنْ يَتَكَلُّ (٥)

١. سورة البقرة آية ٢٥.

٢. سورة الروم آية ٤٦.

٣. الحوفي: البرهان ٩٥/١.

٤. الحوفي: نفسه ٩٦/١.

٥. الحوفي: نفسه ٩٦/١.

وفي قوله تعالى: " تجري " يقول: ويقال: جَرَى يَجْرِي جرياً، وأَجْرَاهُ إِجْرَاءً، و جَارَاهُ مُجَارَاةً، وَتَجَارَوْا تَجَارِيًا، وكل شيء يجري جرياً والخيل تجري حِراءً و جارة بُئِيَّة الجراء بلا فعل لها (١).

وفي قوله تعالى " و أتوا ":

يقول: ويقال: أتى يأتي إتياءً، و أتى إيتاءً بمعنى أعطى و أتى بمعنى جاء (٢).

وقوله " متشابهها ":

أشبهَهُ شَبْهًا، و اشتَبَهَهُ اشْتِبَاهًا، و تشبه تشبهاً، و تشابهوا تشابهاً و تشابهه تشبيهاً و شابهه مشابهة (٣).

وفي قوله تعالى " خالدون ":

يقول: و الخلود البقاء و الإقامة يقال خَلَدَ بِمَكَانٍ كَذَا و كَذَا يَخْلُدُ خَلُودًا و خَلْدًا فَهُوَ خَالِدٌ (٤).

وفي قوله تعالى ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِخَ الرِّضَاعَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا... ﴾ (٥).

يقول: يقال: رضع يرضع رضعا، و رضع يرضع رضاعة و أرضعته أمه إرضاعا و ارتضع إرتضاعا، و استرضع استرضاعا، و راضعه رضاعا و مرضعه، يقال امرأة مُرْضِع

١. الحوفي: نفسه ٩٦/١.

٢. الحوفي: نفسه ٩٦/١.

٣. الحوفي: نفسه ٩٦/١.

٤. الحوفي: نفسه ٩٦/١.

٥. سورة البقرة آية ٢٣٣.

لغيرها معناه ذات رضاع فإن بنيته على الفعل جئت بالهاء فقلت أرضعت فهي مرضعة ويقال: رضع يرضع ورضع يرضع ورضع أفصح من رضع، ويقال: الرضاعة والرضاعة والفتح أكثر.

وفي كسوتهن يقول: ويقال: كساه يكسوه كسوة إذا ألبسه الثياب، واكتس اكتساء، ويقال: كِسْوَةٌ وكُسُوَةٌ.

وفي لا تكلف: يقول: يقال: كَلَّفَ وجهه كلفاً ويجده كلف أي أثر والكلف بالشيء الإيلاع به لأنه لزوم يظهر أثره عليه، وكَلَّفَ كلفاً إذا أحب لتأثير المحبة عليه وتكَلَّفَ الأمر تكلفاً بحمله، وكَلَّفَهُ تكليفاً ألزمه ما يظهر أثره.

وفي الوارث: يقول: يقال: ورتَ يرثَ إرثاً، وأورثه ميراثاً، وتوارثوا توارثاً وورثه توريثاً.

وفي "فصلاً": يقول: يقال: فَصَلَ فلان فصلاً وفاصلُهُ مُفَصِّلَةٌ، وتفاسلوا تفاسلاً واستفصل استفصالا، وانفصل انفصالا، وِفَصَّلَهُ تفصيلاً، وتفصَّل تفصُّلاً والفصل القضاء بين الحق والباطل، وفصيلة الرجل بنو أبيه لانفصالهم من أصل واحد وأصل الباب الفرق.

وفي "تشاور" يقول: التشاور شرت العسل أشوره شوراً، وأشيرة إشارة إذا اجتنبته من مكانه والمشورة استخراج الرأي من المستشار لأنها تجتني منه، وشاوره مُشاورة وأشار عليه إشارةً واستشاره استشارةً وأشار إلى الشيء إشارةً إذا أومأ إليه والشارة الهيئة واللباس الحسن وأصل الباب الشور اجتناء العسل (١).

بان لنا كيف استخدم الحوفي الاشتقاق والتصريف في فهم النص القرآني فبالاشتقاق نقف على أصل الكلمة الذي تفرعت عنه وهذا يساعد على كشف معناها بُعْداً عن اختلافات المفسرين، فنحن إذا عرفنا أصلها اللغوي الذي تفرعت عنه أمنا اللبس في فهم معناها، وهذا القول يتضح لنا كما سبق القول من الكشف مثلاً عن أصل كلمة الله هل هي من لاه أو من إلاه، فمن أخذها على أنها مشتقة من لاه صرّفَ المعنى إلى الخلق يولهن إليه في حوائجهم ويضرعون إليه فيما يثوبهم، ويفزعون إليه في كل ما يصيبهم كما يوله كل طفل أمه^(١)، ومن أخذ من إلاه صرفه إلى ما جاء في النص القرآني نفسه، يقول عزوجل ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ...﴾^(٢). فالحوفي بكشفه عن اشتقاق الكلمة من أصلها اللغوي كشف بذلك عن المعنى الأصلي للكلمة بعيداً عن اختلاف أئمة التفسير.

وهو بهذا قد كشف عن المعاني المختلفة المتصلة عن معنى واحد، وبهذا عدّ الحوفي من علماء اللغة القلائل الذين جابوا هذا الميدان، وكشفوا عن المباحث اللغوية وسبروا أغوار كل ذلك إنما كان من أجل فهم النص القرآني وهذه سمة بارزة للحوفي في منهجه التفسيري للنص القرآني.

١. ابن منظور: لسان العرب مادة "لاه"
٢. سورة المؤمنون آية ٩١.

القسم الثالث عناية الحوفي بالدلالة اللفظية

لم تقف عناية الحوفي عند بيان أصل الكلمة من الناحية الاشتقاقية والأوجه الصرفية بل تعداها إلى الكشف عن جانب آخر أصل في المباحث اللغوية، وهو بيانه للفظة المفردة وكشفه عن النظائر والقيض للكلمة المفردة، وإنما جاءت عنايته باللفظة المفردة عن طريق شرح معناها، وبيان مدلولها، وهو بهذا قد كشف لنا عن الدلالة المعجمية للفظ، والحوفي لم ينص صراحة عن الدلالة المعجمية للفظ وإنما استخلصناها من معالجته لهذا الجانب، كما لم ينص على اللفظ الغريب الذي اصطلح العلماء على أن المقصود بالغريب هو معرفة المدلول يقول الزركشي: إن الغريب هو معرفة المدلول (١) ويقول الرافعي: وفي القرآن ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب وليس المراد بغرابتها أنها منكرة أو نافرة أو شاذة فإن القرآن منزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل وبحيث لا يتساوى بالعلم بها أهلها وسائر الناس (٢).

والحوفي في عنايته باللفظة المفردة لم ينص على غرابتها وإنما كشف عن معناها وبيان دلالتها، دون أن يسلك ما سلكه السابقون عليه ممن ألفوا في غريب القرآن (٣) في النص على غرابة اللفظة القرآنية وهذا دليل على أن الحوفي لم يرتض أن تطلق على أي

١ - الزركشي: البرهان ١ / ٢٩١ .

٢ - الرافعي: إجاز القرآن ٧٤ .

٣ - أمثال :

أ. محمد بن عزيز العزيمي السجستاني ت ٣٣٠ هـ .

ب. أبو عمر محمد بن عبد الواحد المعروف بالزاهد ت ٣٤٥ هـ .

ج. أحمد بن أبان بن سيد القرطبي ت ٣٨٢ هـ .

د. أحمد بن محمد الهروي ت ٤٠١ هـ .

لفظة من ألفاظ القرآن كلمة غريب و ذلك لتنزيه القرآن، و لذلك جاءت عنايته باللفظة القرآنية دون أن ينصَّ على ذلك ففي قوله تعالى ﴿... وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى...﴾ (١) يقول في معنى " المن و السلوى " : و كان يسقط على الشجر الترنجبين (٢) و السلوى هو طائر يشبه السمانى، و اختلف في المن ما هو: فروي عن ابن عباس قال هو من كان ينزل على شجرهم فيغدون إليه فيأكلون منه ما شاءوا، و قال مجاهد هو صمغة و قال قتادة: هو شراب مثل الثلج، و قال الربيع بن أنس: هو شراب مثل العسل يمزجونه و يشربونه، و روي أن وهباً سئل عنه فقال هو خبز الرقاق من الذرة، و روي عن النبي صلي الله عليه وسلم قال : الكماه من المن، و أما السلوى فروي عن ابن عباس قال: السلوى يشبه السمانى، و قيل هو طير ثمين مثل الحمام ، و المن جمع لا واحد له سمي مناً لمن الله به، و قال هو مثل الخير و الشر لا واحد له، و السلوى السمانى مثل شكاعي في الواحد الجمع على لفظ واحد و لو قيل في واحدة على القياس ل قيل سلواه و السلوى و السلوان عند العرب كل ما أسلاك (٣) فالحوفي يبيّن أن معنى المن الترنجبين . و السلوى كل ما أسلاك.

و هو عن طريق كشفه عن أصل الكلمة يصل إلى معناها ففي قوله تعالى

﴿... كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا...﴾ (٤) . يقول

و معنى يتلو يقرأ و أصله الإتياع من قولك: تلوت الرجل إذا اتبعته ، و ناقة متلية إذا كان لها ولد يتلوها أي يتبعها، و منه قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا تَلَّهَا﴾ (٥) أي اتبعها (٦) .

١ - سورة البقرة آية ٥٧ .

٢ - الترنجبين : يقول ابن منظور، و في التنزيل العزيز: و أنزلنا عليهم المن و السلوى قال الزجاج جملة المن في اللغة ما يمن الله عز و جل به مما لا تعب فيه و لا نصب قال : و أهل التفسير يقولون: إن المن شيء كان يسقط على الشجر حلو يشرب و يقال : الترنجبين . راجع ابن منظور: اللسان: مادة "مَنَّ" .

٣ - الحوفي: البرهان ١/١٨٥ .

٤ - سورة البقرة آية ١٥١ .

٥ - سورة الشمس آية ٢ .

٦ - الحوفي: البرهان ٣/٨ .

وهو بهذا يبيّن المعنى المقصود في الآية ثم يكشف عن معناها الأصلي ويستند على ورود الكلمة في النص القرآني ليؤيد ما ذهب إليه.

وفي قوله تعالى ﴿وَلَمَّ سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاَحَ﴾ (١).

يقول سكت أي سكن وكل كاف عن شيء ساكت عنه وإنما قيل للساكت عن الكلام ساكت لكفه عنه و جاز أن يقال في الغضب سكت وليس الغضب مما يجوز أن يُتكلّم به فإنما جاءت الكتابة عنه بالسكوت لأن له فورة تدل على ما في نفس الغاضب فيصير الدلالة كأنه بمنزلة المتكلم فإذا سكنت تلك الفورة صار كأنه ساكت لارتفاع الدلالة وقال بعضهم هو على القلب و معناه و لما سكت موسى عن الغضب على القلب كما قالوا أدخلوا القلنسوة رأسي وإنما المعنى أدخلت رأسي في القلنسوة، والأول أولى لما فيه من المعنى اللطيف الدال على الفصاحة والتوسع الذي هو أحسن في الحقيقة وهذا كثير في اللغة (٢)

تلك كانت بعض الأمثلة التي تمثل صنيع الحوفي في شرحه لمعنى اللفظة المفردة وصولاً للمعنى المنشود.

أما عناية الحوفي بالنظائر والنقيض فقد جاءت متسقة مع شرحه للفظ المفردة وقبل الحديث عن عنايته بهذا الجانب نتساءل: هل قصد الحوفي بهذين المصطلحين الترادف والأضداد أم الأشباه والنظائر أم المشترك اللفظي:

ولكي نقف على مقصود الحوفي لابد من الكشف عن معاني هذه المصطلحات فحد المشترك اللفظي كما بيّنه السيوطي: اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة، لأن المعاني غير متناهية والألفاظ متناهية فإذا وُرع لزّم الاشتراك (٣).

١ - سورة الأعراف آية ١٥٤.

٢ - الحوفي: البرهان ٢٩/١٢.

٣ - السيوطي: المزهر ٢٦٩/١.

وأطلق الزركشي على هذا المفهوم الوجوه يقول: فالوجوه اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معان، كلفظة الأمة والنظائر كالألفاظ المتواطئة^(١).

وما قال به السيوطي والزركشي متفق مع ما طبقه الحوفي في تفسيره، ففي قوله تعالى ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً...﴾^(٢).

يقول الحوفي: اختلف العلماء في معنى الأمة ها هنا ومعنى الناس، فقال بعضهم هم الذين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام وهم عشرة قرون كانوا على شريعة واحدة من الحق فاختلفوا بعد ذلك رُوي ذلك عن ابن عباس، وقال آخرون الناس أمة واحدة على دين واحد يوم استخرج ذرية آدم من صلبه، فعرضهم على آدم رُوي ذلك عن أبي بن كعب وابن زيد، وقال قوم: كان الناس أمة واحدة كان جميع من كان مع نوح في السفينة مؤمناً ثم تفرقوا من بعده عن كفر فبعث الله النبيين، وقال آخرون: كان الناس أمة واحدة على الكفر بالله فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين رُوي أيضاً ذلك عن ابن عباس والأمة في اللغة تتوجه على وجوه منها أن الأمة "الدين" ومنه قوله عز وجل

﴿...إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ...﴾^(٣)

أي على دين، ومنها القامة، يقال: فلان حسن الأمة أي حسن القامة قال الشاعر^(٤):

وإنَّ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ * * * * *
بِإِضِّ الْوَجْهِ طَوْلِ الْأَمَمِ

١ - الزركشي: البرهان ١/١٠٢.

٢ - سورة البقرة آية ٢١٣.

٣ - سورة الزخرف آية ٢٢.

٤ - الشاعر كما ذكره ابن منظور هو الأعشى راجع ابن منظور: لسان العرب "مادة" أمم "

أي طوال القامة، والأمة القرن من الناس يقول "مضت أمم" أي قرون. والأمة الرجل الذي لا نظيره ومنه قوله عز وجل ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا...﴾ (١) أي كان إماما والأمة النعمة والخير قال عدي بن زيد:

ثم بعد الفلاح والرشد والأمة وارتهم هناك القبور

أي بعد النعمة والخير، وأمة "حين" كقوله عز وجل ﴿...وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ...﴾ أي إلى حين وكذا: "...وَأَذَكَّرَ بَعْدَ أُمَّةٍ... (٢) أي بعد حين وأمة أتباع الأنبياء عليهم السلام كما قال "نحن من أمة محمد عليه السلام، وأمة جماعة كقوله عز وجل: "...أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُوبُ... (٣)، وأمة رجل منفرد بدين واحد لا يشركه فيه أحد قال النبي صلي الله عليه وسلم: "يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده" وأمة: أم يقال هذه أمة زيد أي أم زيد فجاءت الأمة بمعنى الدين أي هو مقصد واحد، ومعنى القامة أي سائر مقصد الجسد، والجماعة أي هم على مقصد واحد إليه، يتوجه الوجوه فيتوجه المعنى في الآية على مقصد واحد إما إيمان وإما كفر قد قال الله عز وجل ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (٤) فتوعد على الاختلاف لا على الاجتماع (٥)

والحوفي بهذا القول يخرج مفهوم النظائر عن حد المشترك اللفظي.

وإذا كان الحوفي بالأمثلة التي جاءت في تفسيره يخرج المشترك اللفظي عن المقصود بمصطلح النظائر، فلا بد أن النظائر لها مفهوم آخر عنده وهذا يستدعي أن نقف على حد الترادف.

١ - سورة النحل آية ١٢٠.

٢ - سورة يوسف آية ٤٥.

٣ - سورة القصص آية ٢٣.

٤ - سورة يونس آية ١٩.

٥ - الحوفي: البرهان ١٧/٤، ١٨.

وحد الترادف كما بيّنه الإمام فخر الدين يقول السيوطي: قال الإمام فخر الدين هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء باعتبار واحد. قال: واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليس مترادفين وبوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسيف والصارم فإنهما دلاً على شيء واحد^(١) وهذا القول يتفق مع مقصود الحوفي بمصطلح النظائر فالمتبع لتفسير الحوفي يرى أنه لم يترك كلمة إلا وقد بيّن نظيرها في اللغة ودلّل عليها بل بلغ من الدقة أنه بيّن الفرق بين النظير والنظير، ففي قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢)، يقول: الحمد والشكر والمدح والثناء نظائر وبين الحمد والشكر فرق يظهر بالنقيض فنقيض الشكر الكفر، ونقيض الحمد الذم والحمد أعم من الشكر لأن الحمد يكون على نعمة وعلى غير نعمة، كما يكون المدح والشكر لا يكون إلا على نعمة، وأصل الحمد الوصف الجميل كما أن أصل المدح كذلك^(٣).

والحوفي بيّن أن هذا القول ليس على إطلاقه فإنه ربما وقعت بعض الألفاظ في موضع فدلّت على معنى دون المعنى الآخر، ففي افتتاح سورة الأنعام بالحمد يقول: وجاء افتتاح السورة بالحمد مع سواها ولم يجتزأ بواحد لأن كل موضع يدل على معنى دون المعنى الآخر من أجل عقده بالنعم المختلفة، وجاء على صيغة الخبر وفيه معنى الأمر لأنه أبلغ أن نبين أن الله يستحق الحمد على النعم عمِلَ العامل بما يلزمه أو لم يعمل^(٤). كما نجده في موضع آخر يؤكد على المعنى الأول ففي قوله: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا...﴾^(٥) يقول: الشكر والثناء على الرجل بأفعاله المحمودة والكفر تغطية الشيء^(٦). فالعنى يقتضيه سياق الكلام.

١ - السيوطي: المزهري ٤٠٢/١.

٢ - سورة الفاتحة آية ١.

٣ - الحوفي: البرهان ٩/١.

٤ - الحوفي: نفسه ٩/١٠.

٥ - سورة البقرة آية ١٥٢.

٦ - الحوفي: البرهان ٩/٣.

فالحوفي بهذا قد حدد المقصود بالنظائر وهي الألفاظ المفردة الدالة على معنى واحد وفائدة النظائر: انتقاء اللفظ الملائم، وتوسيع مجال التصرف اللغوي، وستر العيوب اللسانية وميزته كثرة الطرق للإخبار عما في النفس، واختيار الأخر والأظهر بين الألفاظ وبهذا المفهوم جاءت عناية الحوفي ببيان النظائر:

ففي قوله تعالى: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) ^(١) يقول العبادة والخضوع والخشوع والاستكانة والتذلل نظائر في اللغة وأصل العبادة التذلل من قولهم طريق معبد أي مذلل لكثرة الوطاء قال طرفة:

تُبَارِي عِتَاقًا نَاحِيَاتٍ وَاتَّبَعْتَ * * * * * وَظَلِيفًا وَظَلِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبِدٍ

والمور الطريق، ومنه أخذ العبد لذلته يقال: "عبدت" الله أعبدته عبداً وعبادةً وَتَعَبَدَ الرَّجُلُ تَعَبُدًا ، وَعَبَدَتِ الرَّجُلَ إِذَا مَا اسْتَعْبَدْتَهُ ، وَيُقَالُ مَا عَبَدَ أَوْ فَعَلَ كَذَا وَكَذَا أَي أَبْطَأَ وَعَبَدت من الأمر أعبد إذا أنفت منه ، وليست العبادة مثل الطاعة لأن النصارى قد عبدوا المسيح وليسوا بمطيعين، وكذلك من قال العبادة التقرب لأن التقرب إنما هو طلب الكرامة وارتفاع المنزلة لأن من تقرب إلى النبي صلى الله عليه وسلم طلبا للكرامة وارتفاع المنزلة ليس يقال له عابد له، فصح أن العبادة التذلل والخضوع والاستعانة سؤال المعونة كما أن الاستعاذة سؤال الإعادة والاستعصام سؤال العصمة ^(٢).

والحوفي بهذا المنظور يبحث عن المعنى الدقيق للكلمة التي يبيِّن نظائرها في اللغة فتارة نراه يفرق بين النظير والنظير، وأخري يبيِّن الجانب الصرفي ليصل بنا إلى المعنى

١ - سورة الفاتحة آية ٢ .
٢ - ذكر ابن منظور أن البيت لطرفة بقول: و المور : الطريق، ومنه قول طرفة
تُبَارِي عِتَاقًا نَاحِيَاتٍ وَاتَّبَعْتَ * * * * * وَظَلِيفًا وَظَلِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبِدٍ
راجع لسان العرب مادة: " مَوْر "

المنشود، فإن كان هناك أكثر من معنى فَرَّقَ بين تلك المعاني ورد عليه واحتج لرأيه ففي قوله تعالى ﴿... الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...؟﴾ (١).

يقول الإنعام والإحسان والإفضال نظائر في اللغة؛ الفرق بين الإنعام والإحسان قد يكون محسناً إلى نفسه ولا يكون منعماً عليها، فلو كان منعماً عليها لوجب عليه أن يشكر نفسه (٢)، وأصل النِعْمَةُ والنَّعْمَةُ اللين والخفض والدعة، فالنِعْمَةُ الاسم النَّعْمَةُ المصدر يقال نعم ينعم فهو ناعم بين النعيم إذا كان في خفض من العيش ورفاهية، ومنه يقال: النِعْمُ للإبل والبقر والغنم وأكثر من ما يسمى بذلك الإبل لِنِعْمَةِ مَسْهَا وكل أحد فله عليه نِعْمَةٌ لأن نعمه تحصى كثرة مؤمناً كان أو كافراً يدل على ذلك قوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (٣).

وفي قوله تعالى ﴿ذَلِكَ أَلْكُتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾ (٤).

يقول: وقوله: لا ريب فيه قال عطاء ومجاهد وقتادة والسدي عن ابن عباس لا شك فيه، والريب الشك واللبس نظائر في اللغة، يقال: رابني الشيء ريباً، إذا علمت منه الريبة، وأرابني إذا أوهمني الريبة، والفرق بين الريب والشك أن الريب شك معه تهمة للمسئول فيه ألا ترى أنك تقول: قد ارتبت بفلان إذا اتهمته، وأما الشك فهو الوقف بين النقيضين الذي ينافي القطع في أحدهما، كما تقول في المطر أيجيء هذا اليوم أم لا؟ وليس معه تهمة لا يصلح أن تقول في هذا المعنى: قد رابني المطر في هذا اليوم أم لا؟ (٥)

١ - سورة الفاتحة آية ٧.
٢ - الحوفي: البرهان ١/٢٤.
٣ - سورة النحل آية ٨٣.
٤ - سورة البقرة آية ٢.
٥ - الحوفي: البرهان ١/٣٣.

والحوفي قي هذا يبيِّن الفرق بين الكلمة الواحدة إذا دخلت عليها الهمزة غيرت المعنى كما يفرِّق بين النظيرين فبعد أن بيَّن أن الريب والشك نظائر في اللغة فرق بينهما فقال أن الريب شك معه تهمة للمسئول فيه ، والشك وقف بين النقيضين .
وفي قوله تعالى ﴿...وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (١) .

يقول : واليقين والعلم والمعرفة نظائر إلا إن بين اليقين والعلم فرقا ، وهو أن اليقين مما وقع من الثقة بالشيء ويلج الصدر به بعد أن لم يكن ، كما أن الفطنة ابتداء المعرفة من وجه غائص في الدلالة ، والشك ينافي اليقين كما ينافي العلم وكل يقين علم (٢) والحوفي في قوله : بأن الشك ينافي اليقين كما ينافي العلم أدق من قوله يناقض ، لأنك إذا قلت الفرق بين الأبيض والأسود والأحمر ، الأبيض يناقض الأسود قلت أيضاً الأبيض يناقض الأحمر وإذا قلت الأبيض ينافي الأسود لا يصح أن نقول الأبيض ينافي الأحمر لأنه من ألوانه ، فعلم أن استخدام أن الحوفي لكلمة ينافي أدق في موضعها من كلمة يناقض .
وفي قوله تعالى ﴿... وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٣) .

يقول : واصل الفلاح القطع قال الزاجر:

حتى تربي جماجماً تطوح **** أن الحديد بالحديد يفلح

أي يقطع ، ومنه سمي الفلاح لأنه يقطع الأرض أي يشق ، وقد قيل أصلة البقاء وأنشد : أفلح لما شئت فقد تدرك بالضعف وقد يخدع الأريب (٤)

قيل : معناه ابق بما شئت من قتل أو حمق ، وقيل معناه : اقطع زمانك بما شئت ، وقيل أصل الفلاح الظفر بالعاية وعلى ذلك ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّهَا﴾ (٥) .

١ - سورة البقرة آية ٤ .

٢ - الحوفي : البرهان ١/٤٣، ٤٢ .

٣ - سورة البقرة آية ٥ .

٤ - جاء في لسان العرب فلاح أنه قول عبيد : وبروي : افلح بما شئت فقد يبلغ بالنوك وقد يخدع الأريب .

٥ - سورة الشمس آية ٩ .

﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١)

وقال عدي بن زيد (٢)

ثُمَّ بَعْدَ الْفَلَاحِ وَالرَّشْدِ وَالْأُمَّةِ **** وارتهم هناك القبور

فهو في هذا القول يكشف المعنى عن طريق ذكر الأقوال ليصل إلى النظير، فبعد أن ذكر أن أصل الفلاح القطع، بين المعاني المختلفة ودل على كل معني ليصل أن بعض هذه المعاني قد يكون نظير الكلمة المراد الكشف عنها، ففي قوله تعالى

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ... ﴾ (٣)

يقول : الكفر والشكر والجحود نظائر، واصل الكفر الستر، قال لبيد بن ربيعة :

تعلو طريقة متنها متواتر **** في ليلة كَفَرَ النجوم غماما

أي سترها وغطاها، ويسمى الزارع كافراً لأنه يستر الحب، ويقال كفر النعمة إذا سترها بجحود لها. والسواء واللاتزان نظائر واصل السواء الاعتدال، والفرق بين المساواة والمماثلة أن المساواة بين المختلفين في الجنس والمتفقين فيه، والمماثلة إنما هي للمتفقين في الجنس وإنما المساواة في المقدارين اللذين لا يزيد أحدهما على الآخر ولا ينقص عنه، فالتساوي التكافؤ في المقدار فأما التماثل فهو أن يسد أحد الشئيين مسد الآخر في المشاهدة كالسوادين والضوء بين والطعمين (٤)

والحوفي دقيق في بيانه للنظائر فهو لكي يكشف المقصود يفرق بين معني الكلمة والكلمة التي تماثلها ففي قوله تعالى ﴿ عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ... ﴾ (٥).

١- سورة المؤمنون آية ١.

٢- جاء في لسان العرب مادة "فَلَحَ" أم البي لعدي بن زيد .

٣- سورة البقرة آية ٦.

٤- الحوفي : البرهان ١/٤٦، ٤٥.

٥- سورة البقرة آية ٢٣٨.

يقول : المحافظة والمواظبة والملازمة نظائر. والحافظ خلاف المضيع والحفيظ الموكل بالشيء (١)

فهو بقوله : الحافظ خلاف المضيع ، والحفيظ الموكل بالشيء قد كشف الفرق بين الحافظ والحفيظ ، فالحافظ هو القابض علي الشيء وهو خلاف المضيع ، وذلك غير الحفيظ وفي قوله تعالى ﴿ صُمُّ بِكُمْ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرَجِعُونَ ﴾ (٢) يقول : الصم والوقر والثقل نظائر في اللغة ، فأما الطرش فزعم أبو حاتم أنه دخيل وأنه مما تلحن فيه العامة. كما يقول : الرجوع عن الشيء والانقلاب عنه والزوال عنه نظائر (٣) كما بيّن أن النظائر قد تقع بين الصفة ، ففي قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤) يقول : الزلل والخطأ والغلط نظائر ، وعزيز وقدير ومنيع نظائر في الصفة ، والبيّن والدلالة والحجة نظائر (٥) .

وبهذا المفهوم بيّن الحوفي اللفظ ونظائره سواء في اللغة أو في الصفة ، وفرق بين اللفظة ونظيرتها ، كما بيّن اللفظ ونقيضه ، وقصد بهذا الصنع أمورا منها :

١- أن تكثر الوسائل - أي الطرق - إلى الأخبار عما في النفس ، فإنه ربما نسي أحد اللفظين أو عسر عليه النطق به

٢- التوسع في سلوك طرق الفصاحة ، وأساليب البلاغة في النظم والنثر (٦) .

١ - الحوفي : البرهان ٧٨/٤ مكرر .

٢ - سورة البقرة آية ١٨ .

٣ - الحوفي : نفسه ٧٠/١ .

٤ - سورة البقرة آية ٢٠٩ .

٥ - الحوفي : البرهان ٩/٤ .

٦ - السيوطي : المزهر ٤٠٦/١ .

٣- الربط بين اللفظ ونظيره وذلك إحياء للغة ، وهذا لا يتم إلا بربطه بالألفاظ التي وردت في النص القرآني وبالذات في تفسير القرآن لتتم الفائدة المرجوة من هذا الصنيع التي تُنبّه لها الحوفي في عصر ازدياد فيه لسان العرب انحرافا نحو اللحن لاختلاط العرب بالعناصر الأخرى ، وكما سبق أن نوهنا بالأمثلة التي تؤيد ما نقول كثيرا منها^(١) في قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾^(٢) يقول الكر والرجع والقتل نظائر ونقيض الكر والفرو وهو بمعنى الرجوع والحسرة والندامة والكآبة نظائر في اللغة ونقيض الحسرة الغبطة^(٣) .

والحوفي بتحديدده للنظير دقيق، فإذا رجعنا إلى معنى الكر والرجع والقتل بانته لنا دقته. فابن منظور بقول في معنى الكر: كَرَّعْنَاهُ رَجَعًا وَكَرَّعْنَا عَلَى الشَّيْءِ. ومعنى رجح: يقول رجح إليه: كَرَّوْ رَجَحَ عَلَيْهِ وَارْتَجَعَ: كَرَّجَعَ^(٤) ومعنى القتل: يقول القتل: لِي الشَّيْءِ كَلَيْكَ الحبل وكقتل الفتيلة، يقال: انقتل فلان عن صلته أي انصرف ولفت فلانا من رأيه وفتله أي صرفه ولواه وفتله عن وَجْهِهِ فانقتل أي صرفه فانصرف وقتل وجهه عن القوم: صرفه^(٥) .

وفي قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٦) يقول التبديل والتغيير نظائر، والإنعام والإحسان والإفضال نظائر، والشدة والصعوبة والصلابة نظائر، والعقاب والعذاب من النظائر^(٧) .

١- راجع: ملحق الرسالة القسم الخاص بالنظائر.

٢- سورة البقرة آية ١٦٧.

٣- الحوفي: البرهان: ٣٢/٢.

٤- ابن منظور: لسان العرب مادة " كَرَّرَ "

٥- ابن منظور: نفسه مادة " رَجَعَ "

٦- سورة البقرة آية ٢١١.

٧- الحوفي: البرهان ١٣/٤، ١٤.

والحوفي بكشفه عن النظائر إنما أراد التوسعة اللغوية و تجنب اللحن. أما عنايته بالنقيض فقد جاءت أكثر تحديداً و بُعداً عن الخلافات التي دارت بين علماء اللغة حول الأضداد، ولكي نقف على مقصود الحوفي بهذا المصطلح فلا بد من لمحة سريعة حول مفهوم الأقدمين لكلمة " ضد " وهل كان مقصود الحوفي بالنقيض الضد، يقول سيبويه: إعلم أن من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، واختلاف اللفظين والمعنى واحد و اتفاق اللفظين و اختلاف المعنيين.

فاختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين هو نحو: جلس و ذهب و اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب و انطلق. و اتفاق اللفظين و المعنى مختلف قولك: وجدت عليه من الموحدة و وجدت إذا أردت وجدان الضالة^(١).

و أبو الطيب اللغوي يقول: الأضداد جمع ضد، و ضد كل شيء ما نافاه نحو البياض و السوداء، و ليس كل ما خالف الشيء ضداً له ألا ترى أن القوة و الجهل مختلفان و ليسا ضدين؟ و إنما ضد القوة الضعف، و ضد الجهل العلم، فالاختلاف اعم من التضاد إذا كان كل متضادين مختلفين ضدين^(٢).

و عقد السيوطي في كتابه المزهرة النوع السادس و العشرون و سماه: " معرفة الأضداد"^(٣) جمع فيه ما اصطلح عليه المتقدمون في تعريف الأضداد و أشار إلى صاحب الحاصل الذي ذكر: أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد، لأن المشترك يجب فيه إفادة التردد بين معنييه، و التردد بين النقيضين حاصل بالذات لا من اللفظ^(٤).

١- سيبويه: الكتاب ١/٢٤.
٢- د. توفيق محمد شاهين: المشترك اللغوي نظرية و تطبيقاً ١٣١.
٣- السيوطي: المزهرة ١/٣٨٧.
٤- السيوطي: نفسه ١/٣٨٧.

وعلى ذلك فالحوفي حدّد هذا المصطلح بالنقيض وهو دقيق في تحديده لأن النقيضين لا يجتمعان كما لا يلتقيان أما الضدين فقد يلتقيان.

ونستطيع أن نستنبط ذلك من كلامه، ففي قوله تعالى (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يقول: الإيمان نقيض الكفر ونقيض الغيب الشهادة ولهذا قال عز وجل "عالم الغيب" والشهادة والإقامة نقيضها الإضجاع، والرزق نقيض الحرمان^(١). فهو هنا يستخدم كلمة نقيض، نراه في موضع آخر يستخدم كلمة خلاف ففي قوله تعالى (تُحَدِّثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا...) يقول: الخديعة خلاف النصيحة^(٢) كما قال في موضع آخر يستخدم كلمة ينافي فهو يقول: والشك ينافي اليقين كما ينافي العلم وكل يقين علم.

والحوفي بهذا قد اتفق مع أبي الطيب اللغوي في تعريفه السابق للأضداد كما اتفق مع صاحب كتاب الحاصل من أن النقيضين لا يوضع لهما لفظ واحد، إلا أن الحوفي دقيق في تحديده إذ أنه يضع المصطلح المناسب في المعنى المناسب كالإيمان لا بد أن يكون نقيض الكفر، والخديعة ليست نقيض النصيحة إنما خلافها، والشك لا يناقض اليقين إنما ينافيه.

والحوفي بكشفه عن النظائر والنقيض إنما أراد أن يوسع مجال التصرف اللغوي وستر العيوب اللسانية، وانتقاء اللفظ، واختيار الألفظ والأظهر بين الألفاظ والأمثلة على ذلك كثيرة^(٣) نكتفي بذكر مثال واحد مما جاء بتفسيره للربيع الأول من سورة البقرة.

١- الحوفي: البرهان ٣٧/١، ٣٨.

٢- الحوفي: نفسه ٥٢/١.

٣- راجع الحوفي: البرهان ١٨/١، ٢٤، ٣٣، ٤٢، ٤٣، ٤٥، ٦٥، ٧٠، ١٨٥، ٨/٣، ٩، ١٣، ٣٢، ١٢٥، ٣٤.

١٧/٤، ١٨، ٧٨ مكرر.

١٦/٨

٩/١٠

١٠٠/١١

٢٩/١٢

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١	(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ) آية ٢	الكتاب	الكتاب، الفرقان، و القرآن نظائر اسم لكتاب الله الكتاب و الصحيفة و المصحف و المدرجة نظائر في اللغة " ٣٢/١ "	
		ريب	الريب، و الشك، و اللبس نظائر " ٣٢ "	
		الهدى	الهدى و البيان و الإيضاح نظائر " ٣٣/١ "	الضلال
٢	(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) آية ٣	يؤمنون	الإيمان و الإحسان و الإسلام نظائر " ٣٧ / ١ "	الإيمان نقيض الكفر
		الغيب		نقيض الشهادة
		يقيمون		الإقامة نقيضها الإضجاع
٣	(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَيَالْآخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ) آية ٤	مما رزقناهم	الرزق و العطاء و الجاري نظائر " ٣٨/١ "	الرزق نقيض الحرمان
		أُنزِلَ	النزال و الحدر و الحط نظائر من اللغة، و النزول نظير الهبوط " ٤٢/١ "	النزول نقيض الصعود
		وَالْآخِرَةَ	الأخر و الثاني و التالي نظائر " ٤٢/١ "	الأخر نقيض الأول
٤	(أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) آية ٥	المفلحون	الفلاح و النجاح و الظفر نظائر في اللغة " ٤٤/١ "	
		كفروا	الكفر و الشرك و الجحود نظائر " ٤٥/١ "	نقيض الكفر النعمة
		سواء	السواء و الاعتدال و الأتزان نظائر	الشكر للنعمة و نقيض الكفر بإلله الإيمان بإلله
٥	تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) آية ٦	أنذرتهم	الانذار و التخويف و التحذير نظائر " ٤٦/١ "	

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية ورقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٦	(حَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ) آية ٧	ختم	الختم و الطبع و الوسم نظائر و السرين دون ذلك و الإقفال اشدها " ٤٨/١ "	
		قلوبهم	القلب و العكس و الكف في الأصل نظائر " ٤٨/١ "	
		غشاوة	الغشاوة و الغطاء و السائر نظائر	
		عذاب	العذاب و الألم و الوجع نظائر	نقيض العذاب التعيم
٧	(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) آية ٨	الناس	الناس و البشر و الأنس نظائر في اللغة " ٥٠/١ "	
		عظيم	العظم و الكبر و الضخم نظائر	
٨	(تُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا تُخَدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) آية ٩	يُخَادِعُونَ	الخدیعة و التمويه و الغرور نظائر " ٥٢/١ "	الخدیعة خلاف النصيحة

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية ورقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٩	(فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ) آية ١٠	مَرَضٌ	المرض و السقم و الوجد نظائر	نقيض المرض الصحة
		فَزَادَهُمُ	الزيادة و الرجحان و الفضل نظائر	
١٠	(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ) آية ١١	لَا تُفْسِدُوا	الفساد و البطلان و الانتقاص نظائر في اللغة " ٥٨/١ "	الفساد نقيض الصلاح
		مُصْلِحُونَ		
١١		السفهاء	السفه والنزق و الطيش نظائر " ٥٨/١ "	الحكمة نقيض السفه
١٢	(وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنَّا وَإِذَا حَلَوْا إِلَى شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ) آية ١٤	لَقُوا	اللقاء للشيء و الاجتماع معه و الحضور نظائر	اللقاء نقيض الحجاب
		حَلَوْا	الخلاء من الشيء و الفراغ منه و العراء منه نظائر	الخلاء نقيض الملاء
		شَيْطَانِهِمْ	الشیطان و العاتي و المتمرد نظائر	
		مُسْتَهْزِءُونَ	الهزاء و الهذل و السخرية و اللعب نظائر " ٦٠/١ "	نقيض الهذل الجد

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية ورقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١٣	(اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) آية ١٥	يستَهزئ	الاستهزاء و اللعب و العبث نظائر	
		طُغْيَانِهِمْ	طغى و بغى و استعلى نظائر	نقيضه التواضع
		يَعْمَهُونَ	العمى و العشا نظائر إلا أن الأعشى قد يستضى ببصر ضعيف و الأعمى لا يرى شيئاً.	
١٤	(أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلِيلَةَ بِالْهُدَى...) آية ١٦	اشْتَرُوا	الاشتراء للشيء و الاستبدال به و الاستخلاف منه و الاعتياض نظائر	نقيضه البيع
		مَثَلُهُمْ	المثل و المثل و الشبه و الشبيه نظائر	الخلاف
١٥	(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) آية ١٧	أضَاءَتْ	الضياء و الإشراق و الإنارة نظائر	الظلام
		ذَهَبَ	الذهاب بالشيء و الإهلاك و الإضاعة نظائر	الحفظ
		لَا يُبْصِرُونَ	البصر و الرؤية و المشاهدة و المعاينة نظائر فبي اللغة " ٦٨/١ "	
١٦	(صُمُّكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ) آية ١٨	الصم	الصم و الوقر و الثقل نظائر في اللغة، فأما الطرش فزعم أبو حاتم أنه دخيل في اللغة و أنه مما تلحن فيه العامة	
		يَرْجِعُونَ	و الرجوع عن الشيء و الارتداد عنه و الانقلاب عنه و الزوال عنه نظائر " ٧٠/١ "	

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية ورقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١٧	(أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ) آية ١٩	حذر	الحذر و الفرق و الفزع و الجزع نظائر و يقاربه الخوف " ٧٣/١ "	نقيض الخوف الأمن
١٨	(يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كَلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنِ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) آية ٢٠	يَكَادُ	يكاد و يقارب و يداني نظائر	
		مَشَوْا	المشي و السعي و السير نظائر إلا أن في السعي اسرعا	
		شاء	و المشيئة و الإرادة و المحبة نظائر	المحبة نقيضها الكرامة
		قَدِيرٌ	و القدرة و القوة و الاستطاعة نظائر، و بين القدرة و الاستطاعة فرق لأن الاستطاعة من انطباع الجوارح للفعل و القدرة مأخوذة من المقدار فكأنها تنهياً للقادر على ما يريد " ٧٨/١ "	و نقيض القدرة العجز

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية ورقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
١٩	(يَتَّيِبُهَا لِلنَّاسِ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) آية ٢١	خَلَقَكُمْ	الخلق و الفعل و الإحداث نظائر و بينهما فروق فالخلق الإيجاد على تقدير و ترتيب و الإحداث الإيجاد للشيء على قرب عهده و الفعل يحتمل التقدير و به قال محمد بن يزيد: خلقت الأديم بمعنى قَدَّرته و دَبَّرته و ينشد لزهير و لأنت تفري ما خلقت و بعض القوم يخلق ثم لا يفري ٨٢/١	
٢٠	(الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الشَّجَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) آية ٢٢	فِرَاشًا	الفرش و المهاد و الممطأ و البساط و القرار نظائر في اللغة	
		بِنَاءً	و البناء و العلو و الارتفاع نظائر	
		فَأَخْرَجَ	الإخراج و الإظهار و الإبراز نظائر	نقيض الإخراج الإدخال
		أَنْدَادًا	و الند و المثل و الشبهه نظائر قال حسان : أتهجوه و لست له بند **** فشركما بخيركما الفداء " ٨٦/١ "	

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية ورقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٢١	(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) آية ٢٣	عَبْدِنَا	العبودية و الرق و الملك نظائر	و نقيض العبد الحر
		ادْعُوا	الدعاء إلى الشيء و الصرف إليه و التمثيل إليه نظائر	و الدعاء إليه نقيض الزجر عنه
		شُهَدَاءَكُمْ	الشهادة و الحجة و البينة نظائر	و نقيض الشهادة الغيبة
٢٢	(فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ) آية ٢٤	تَفْعَلُوا	الفعل و الإحداث و الإيجاد نظائر	
		وَقُودُهَا	الإيقاد و التسايج و الإلهاب و الإشعال نظائر " ٩٢/١ ، "٩٣"	نقيض الإيقاد الإشعال و الإلهاب

ما جاء من النظائر والنقيض خلال الربع الأول من سورة البقرة

م	الآية و رقمها	الكلمة	نظائر الكلمة	النقيض
٢٣	(وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رَزَّقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا قَالُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)	بَشِّرِ	البشارة و التبشير و التفريخ و المسرة نظائر في اللغة	النقيض
		جَنَاتٍ	الجنة و البستان و الروضة و الزهرة نظائر	
		آتُوا	الإتيان و المجئ و الإقبال نظائر في اللغة	
		مُتَشَابِهًا	التشابه و التماثل و التجانس نظائر و أصل الشبه سد احد الشيئين مسد الآخر	
		مُطَهَّرَةٌ	التطهير و التقديس و التنظيف نظائر في اللغة	نقيض التطهير التنجيس
		خَالِدُونَ	الخلود و الدوام و البقاء و التأييد نظائر و أصل الخلود الدوام " ٩٦/١ "	

القسم الرابع الإعراب و ثقافة الحوفي النحوية

بان لنا في الأقسام السابقة عناية الحوفي بالجوانب اللغوية المتعددة، من ناحية صوتية و اشتقاقية و تصريف و دلالة ألفاظ، و في هذا القسم نكشف عن الجانب الإعرابي عنده و هل المقصود به ضبط أواخر الكلم أم المقصود به النحو بمعناه الواسع:

المطلع على تفسير الحوفي يجد أن الحوفي قد دعتة أسباب عدة للاهتمام بهذا الجانب؛ من هذه الأسباب :

١. الاعتماد على اللغة و النحو لفهم النص القرآني، لذلك يقول الواحدي: "إن طريق معرفة تفسير كلام الله تعالى تعلم النحو و الأدب فهما عمدته، و أحكام أصولهما و تبع مناهج لغات العرب" (١). و يقول في موضع آخر: "من تأمل مصنفات المفسرين و وقف على معاني أقوالهم لم يقف على معاني كلام الله دون الوقوف على أصول اللغة و النحو" (٢). و دور النحو في التفسير قد أجمع العلماء على أهميته و فائدته يقول الزركشي: و على الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النظر في هيئة الكلمة و صيغتها و محلها لكونها مبتدأ أو خبراً، أو فاعلة أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو في جواب إلى غير ذلك من تعريف أو جمع أو قلة أو كثرة إلى غير ذلك (٣). و السيوطي يبيّن أهمية النحو و الإعراب و ضرورة الإمام بهما يقول: و من فوائد هذا النوع معرفة المعنى لأن الإعراب يميز المعاني و يوقف على أغراض المتكلمين (٤) على أن تجبّب

١ - الواحدي: البسيط ٢/١ .

٢ - الواحدي: نفسه ٦/١ .

٣ - الزركشي: البرهان ٣٠٢/١ .

٤ - السيوطي: الإتقان ٢٦٠/٢ .

الأعريب المحمولة على اللغات الشاذة، لأن القرآن نزل بالأفصح من لغة قريش وتجنب لفظ الزائد في كتاب الله تعالى، أو التكرار، ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل^(١).

٢. تقويم اللسان والحفاظ على اللغة من اللحن وسلامة التنزيل، يقول ابن قتيبة قال ابن شبرمة: إذا سرك أن تعظم في عين من كنت في عينه صغيراً، ويصغر في عينك من كان عظيماً فتعلم العربية، فإنها تجريك على المنطق وندنيك من السلطان ويقال: النحو في العلم بمنزلة الملح في القدر والرامك في الطيب، ويقال: الإعراب حلية الكلام ووشيه وقال بعض الشعراء :

النحو يبسط من لسان الألكن * * * *
والمراء تكرمه إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلها * * * *
فأجلها منها مقيم الألسن^(٢)

فلقد كان لانتشار الإسلام خارج بلاد العرب واختلاط العرب بالعجم وحدوث التفاعل بين العربية وبين لهجات الأمم المجاورة أن زادت العامة بعداً عن الفصحى. إلى أن تم تخلُّق اللهجات العامية التي نعرفها الآن في العالم العربي متخلصة تمام من الإعراب^(٣). فاللغة العربية المضربة المتمثلة في القرآن الكريم والشعر الجاهلي كانت لغة معربة ما في ذلك ريب، ولكن بعد نهضة الأمة العربية نهضتها الكبرى تحت راية القرآن وفتحت الفتوح الكبيرة وخالط العرب كثيراً من الأمم الآسيوية والأفريقية تشعب منها عدة لغات عامية، كعامية مصر والعراق وسورية والمغرب، وقد لوحظ أن هذه اللغات العامية تتلون دائماً بألوان البيئة الاجتماعية، وما فيها من مؤثرات كما تخضع لتأثر الأحداث المفاجئة، فتستحيل بعد قليل من الزمن إلى رطانات إقليمية غامضة، لا يكاد يفهما إلا الذين يتكلمون بها

١ - الزركشي: البرهان ١/٣٠٤ - ٣٠٥.

٢ - ابن قتيبة: عيون الأخبار ٢/١٥٧.

٣ - أحمد سليمان ياقوت: ظاهرة الإعراب في النحو العربي و تطبيقها في القرآن الكريم ١٢.

ولولا اللغة الفصيحة تربط بين المثقفين من أهالي هذه البلاد لانقطعت الصلات
و أمحت الوشائج^(١).

و من أجل هذا نشطت للدفاع عن ذلك مدرستي البصرة والكوفة وجمعت بينهما
المدرسة البغدادية، و نشطت في مقابل المدرسة البغدادية المدرسة المصرية التي نبتت عند
النحاس والإدقوي، و نمت وازدهرت عند الحوفي الذي جمع بين تلك المذاهب و جعل من
تفسيره موسوعة نحوية حافلة بثقوى الباحث و أضراب الآراء، فلم يترك مجالاً للبحث
النحوي في موضع التنزيل إلا وقد سبر أغواره و غاص في قراره.

٣. الوقوف أمام متأولي النص القرآني من مثل أصحاب المذاهب المتعددة والفرق
المختلفة من أصحاب المذهب الشيعي الذي نما وازدهر في العصر الفاطمي و هو عصر
الحوفي و الدهرية و منكري قدرة الله عز و جل بما سوف نبيّنه في موضعه.

و كما أن اللغة عندما تعرب تكون قد وصلت إلى درجة الكمال و يكون الإنسان
الذي يتكلم بها قد وصل إلى درجة الكمال العقلي و النمو الفكري، فكتابة لغة معربة
أو النطق بلغة معربة يتطلب ذهنًا واعيًا و عقلاً ناميًا ليطباق بين المعاني التي في نفسه
و بين الرموز التي على أواخر الكلمات المنطوق بها، و تلك الرموز التي تدل على ما يريد
إظهاره من المعاني، فالإعراب ظاهرة تمثل قمة التطور اللغوي عند الإنسان^(٢).

لكن هل قصد الحوفي بصنعيه هذا و هو: أن يبدأ تفسيره لكل آية بالقول في

الإعراب، هل قصد الإعراب و هو ضبط أواخر الكلم أم قصد النحو بمعناه الواسع ؟

المطلع على معالجات الحوفي لهذا الجانب يلاحظ أن الحوفي قصد بتلك

المعالجات النحو بمعناه الواسع الذي بيّنه ابن جني : يقول: هو انتحاء سمّت كلام العرب

١ - ابن جني: سر صناعة الإعراب: مقدمة الناشرين ٦.

٢ - د. أحمد سليمان ياقوت: المرجع السابق ٣.

في تصريفه من إعراب وغيره وذلك ، ليلحق من ليس من أهل اللغة العربية بأهلها في الفصاحة فينطق بها وإن لم يكن منهم وإن شدَّ بعضهم عنها رُدَّ به إليها ، وهو في الأصل مصدر شائع أي نحوت نحواً ، كقولك : قصدت قصداً ، ثم خص به انتحاء هذا القبيل من العلم^(١) . بهذا أن لنا أن الإعراب فرع من فروع النحو ، فإذا كان الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ^(٢) .

كان الاهتمام به عند من يبحث عن فهم المعنى أولي من غيره ، ولهذا أطلق الحوفي على مباحث النحو الإعراب لأهمية . ولما كانت العلاقة بين القرآن والإعراب علاقة وثيقة متينة تتضح في كثير من المظاهر، ولقد كان معظم القراء من النحاة ، وكان كل منهم يُقعد لقراءته ، وكان نطق القرآن على يد أبي الأسود - إعراباً - هو الذي دعا إلى نشأة النحو وآيات القرآن يستشهد بها في كل الأبواب النحو وعند كل النحاة تقريباً وكل كتب التفاسير تتعرض للإعراب في الكلمات والجمل ، حيث انه مرتبط بالمعنى^(٣) .

ولما كان الإعراب مرتبطاً بالمعنى ، بل أن الإعراب من أهم الأدوات التي تعين المفسر على فهم المعنى ، فقد جاءت عناية الحوفي بالإعراب مقدمة على أداة أخرى والمطلع على التفسير يري قد برع في تفسير الآيات القرآنية تحليلاً إعرابياً دقيقاً مستنبطاً من ذلك التحليل المعنى الذي يتطلبه سياق الآية القرآنية ، منتهياً إلى القاعدة النحوية عن طريق هذا التحليل مما يدل على موسوعية الحوفي النحوية . والأمثلة التي جاءت في تفسيره كثيرة فهو لم يترك آية على مدار النص القرآني إلا وسير أغوارها وحللها تحليلاً نحويًا دقيقاً نكتفي بذكر بعض الأمثلة لكي تتضح لنا شخصية الحوفي كنحوي ولكي نقف على

١- ابن جني : الخصائص ٣٤/١ .

٢- ابن جني : نفسه ٣٥/١ .

٣- د. أحمد سليكان ياقوت: نفسه ١٨٧ .

منهجه الذي سلكه في تفسيره بالناحية الإعرابية التي استخدمها وسيلة لفهم المعنى ، لابد أن نبين للقاري صنيع الحوفي من خلال عرض مثال أو مثالين ثم نفضّل القول بعد ذلك في كيفية استخدامه للنحو في فهم المعنى .

ففي قوله تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (١) ، يقول فأزلهما من أزَلَّته فزل ، وأزلهما من أزلَّته فزال ، يعضكم مبتدأ لبعض حرف الجر متعلق بعود ، الذي هو خبر المبتدأ والجملة في موضع الحال من الضمير في اهبطوا كأنه والله اعلم اهبطوا متباغضين والعامل في الحال اهبطوا ولم يحتج في الجملة إلى حرف العطف لما فيها من راجع الذكروالذكر يعلق الجملة بالجملة كما يعلقه حرف العطف وكل وبعض يجوز أن يجيء جوابهما مفرداً ومجموعاً وهما يضافان إلى الجمع وإلى المفرد بمعنى الجمع وترد عليهما بالمفرد والجمع فالمفرد على اللفظ والمجموع على المعنى قال تعالى : "وكلهم آتية " على الأفراد ، وفي موضع آخر : "وكل آتوه" على الجمع وقوله ولكم في الأرض مستقر" مستقر رفع بالابتداء ولكم في الأرض متعلق بمستقر ولكم متعلق بالاستقرار المقدر (٢)

ويقول : الزلّة والخطيئة والمعصية والسيئة نضائر ونقيض الخطيئة الإصابة والهبوط والنزول والوقع نضائر في اللغة ، ونقيض النزول الصعود ، والعداوة والمباعدة نضائر في اللغة ، ونقيض العَدُوِّ الوَلِي ، والقرار والثبات والبقاء نضائر ، ونقيض القرار الانزعاج ونقيض الثبات الزوال ونقيض البقاء الفناء ، والاستمتاع والاستلذاذ والاستنفاع نضائر وكذلك المتاع والمتعة ونقيض التلذذ التآلم والحين والمدة والزمان نضائر ، والحين هو الوقت الطويل ، وقوله فأزلهما أي كان سبباً لزللهما كما تقول لمن يعلمك بشيء أنت أوقعني في

١ - سورة لبقرة آية ٣٦ .

٢ - الحوفي: البرهان ١/١٣٢ .

كذا وكذا أي كنت سبباً في ذلك واصل الزوال التنحي (١) وفي قوله تعالى ﴿قُلْ يَتَّيِّبُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَنَهُ قَوْمُهُ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢﴾

يقول: يا حرف نداء وأي منادي وها تنبيهه والناس نعت لأي، إني رسول الله إليكم جميعاً إليكم متعلق برسول جميعاً نصب على الحال الكاف والميم والعامل في الحال معني الرسالة، الذي في موضع النعت لاسم الله عزوجل، ملك السموات والأرض رفع الابتداء، وله اللام متعلقة بمعنى الاستقرار والجملة في صلة الذي، لا إله، يحيي ويميت في موضع الخبر لأن لا إله في موضع رفع الابتداء، وإلا هو بدل على الموضع والجملة أيضاً في موضع النعت لاسم الله عزوجل، فآمنوا إلغاء جواب الإخبار بما أخبره به، بالله متعلق بآمنوا ورسوله عطف، النبي نعت للرسول وكذا الأمي، وكذا الذي يؤمن بالله، وكلماته في صلة الذي، بالله متعلق بيؤمن، وكلماته عطف على اسم الله، واتبعوه عطف على فآمنوا والسماء عائدة على الرسول، لعلكم تهتدون، لعل متعلقة باتبعوه والكاف والميم اسم لعل وتهتدون الخبر، ومن قوم موسى امة يهدون بالحق: أمة رفع بالابتداء والخبر ومن قوم

١ - الحوفي نفسه ١/١٣٢، ١٣٣.
٢ - سورة الأعراف، آية ١٦٠، ١٥٩، ١٥٨.

موسى ومن متعلقة بالاستقرار ويهتدون نعت لأمة وبالحق متعلق بيهدون وبه يعدلون عطف على يهدون ، وبه متعلق بيعدلون والهاء يرجع إلى الحق وقطعناهم فعل ماضي والهاء والميم نصب بقطعناهم ورجوعهما على قوم موسى ، اثنتي عشرة أسباطا مفعول ثان لقطعناهم أي جعلناهم اثنتي عشرة ، ولم يجعله تفسيرا ويجوز أن يكون على الحذف والتقدير اثنتي عشرة فرقة أسباطا نصب في البديل من اثنتي عشرة ، ولم يجعله نعت لفرقة ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه ، أمما نعت لأسباط وأنت العدد وهو واقع على الأسباط وهو مذكر بمعنى فرقة أو أمة فأنت العد لأرادة ذلك كما قال :

ثلاثة أنفس وثلاث نود **** لقد جار الزمان على عيالي

فذكر الأنفس أراد رجالا وكما قال الشاعر:

وان كلابا هذه عشرة أبطن وأنت بريء من قبائلها العشر

فذهب إلى الباطل إلى القبيلة ، والأسباط جمع سبط وهم الفرق ، والأسباط في ولد إسحاق بمنزلة القبائل في ولد إسماعيل وهو مأخوذ كم السبط ضرب الشجر فجعل الأب الذي يجمعهم كالشجرة التي تتفرع عنها الأغصان الكثيرة ، وأوحينا عطف على قطعنا ، وإلى متعلق بأوحينا، إذا متعلقة بأوحينا أن اضرب ، وبعضك متعلق باضرب فاننجست الفاء جواب الأمر والتقدير فضرب فاننجست وحذف للعلم به ، منه متعلق فاننجست مشربهم نصب بالعلم ، مشربهم اصب بعام ، وظللنا عليهم متعلق بأنزلنا والمن نصب بأنزلنا والسلوى عطف عليه ، من طيبات : من متعلق بكلوا ، مما رزقناهم ما بمعنى الذي بموضع خفن بإضافة طيبات إليها رزقناكم في صلة ما التقدير رزقناكموه ، وما ظلمونا ما حرف نفي ، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون : لكن حرف استدراك يقع بعد النفي وأنفسهم نصب وأنفسهم نصب بيظلمون (١).

هكذا جاءت عناية الحوفي النحوية وتحليله الإعرابي على مدار النص القرآني (١).

(٣)

والحوفي ببراعته النحوية وتحليله الإعرابي الدقيق يقف على المعنى حسب تخريجاته النحوية .

ففي قوله تعالى: ﴿...لَعَلَّأَ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ...﴾ (٢) يقول: "إلا الذين ظلموا" الذين نصب على الاستثناء المنقطع مثل ماضر إلا ما نفع ، وما زاد إلا ما نقص ، ومنه قوله تعالى: ﴿...مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعَ الظَّنِّ...﴾ (٣) . وكذلك المعنى في (...إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا...) (٤) لمن الذين ظلموا منهم متعلقون بالشبهة ويضعونها موضع بحجه كما قال النابغة :

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم **** بهن فلولاً من قراع الكتائب (٥)

جعل ذلك عيبهم على طريق البلاغة وان كان ليس بعيب كأنه يقول : إن كان فيهم عيب فهذا ليس بعيب فإذن ليس فيهم عيب ، وكذا إن كان على المؤمنين حجة فللظالم في احتجاجه ولا حجة له فليس عليهم بحجة وإنما ذكرت هذا وشرحته لتعلم أن الاستثناء المنقطع لا بد أن يتعلق بما قبله بوجه ما وكذلك كل ما يقع في كتاب الله وفي الكلام فهذا معناه فتأمله فإن فيه دقة ، فإن جعلت الحجة بمعنى الحاجة كان استثناء متصلاً لأن الحاجة تكون أيضاً بالباطل ، وقال أبو عبيدة : إلا بمعنى الواو وأنشد أبياتاً

١- راجع ملحق الرسالة /الإعراب .

٢- سورة البقرة آية ١٥٠ .

٣- سورة النساء آية ١٥٧ .

٤- سورة البقرة آية ١٥٠ .

٥- ذكره ابن منظور في لسان العرب مادة "قل" ..

تخرج على الاستثناء المنقطع وفيما قال : من أن إلا بمعنى الواو بطلان المعاني لجواز ذلك لجاز أن تقول : فلان عند فلان مائة إلا عشرة تعني مائة وعشرون وهذا بطلان البيان (١).
ففي هذه الآية تظهر براعة الحوفي النحوية حيث خرج المعنى حسب مقتضيات النحو مستشهدا على ما يقول على ما جاء في سياق النص القرآني نفسه وبما جاء في كلام العرب ويبطل ما جاء به أبو عبيدة .

وفي قوله تعالى ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴾ (٢).

يقول : وقولهم فما أصبرهم على النار ما أحتمل وجهين أحدهما أن يكون استفهاماً والأخر أن يكون تعجباً وهي في الموضعين اسم تام قي موضع رفع بالابتداء وأصبرهم الخبر وعلى النار متعلق بأصبر ، فإذا كانت استفهاماً كان التقدير : أي شيء أصبرهم على النار لأن صبر فعل غير متعد ثم عديته بالهمزة كأنك استفهاماً كان التقدير أي شيء أصبرهم على النار لأن صبر فعل غير متعد ثم عديته بالهمزة كأنك قلت : شيء أصبرهم أو صبرهم والهاء والميم نصب بأصبرهم لتعديده بالهمزة ودخل الكلام من الاستفهام معني التوبيخ ، وإذا كانت تعجباً كانت فعل أيضاً متقولاً بالهمزة كما تقول ما أحسن زيداً وما أحسن بكرًا فخروجه عن العادة المألوفة من الحسن والظرف أوجب تعجبك منه والهاء والميم أيضاً نصب بأصبر ، وهذا التعجب يجري على التعارف من لغة العرب كما قال : "وان تعجب فعجب قولهم " ، وكل هذه الأشياء من التعجب والاستفهام مخرجها من الله عز وجل خلاف مخرجها من المخلوقين كالاستهزاء والمخادعة والكر وما أشبه ذلك (٣).

١- الحوفي: البرهان ٥/٣.
٢- سورة البقرة آية ١٧٥.
٣- الحوفي: البرهان ٤٣/٣-٤٤.

فالحوفي بهذا يبيّن عن طريق التقدير الإعرابي، وفي قوله تعالى (... وَمَنْ يَرْتَدِدْ
مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١).

يقول: فأولئك الفاء وما يعدها جواب الشرط وأولئك رفع الابتداء وحبطت أعمالهم
الخبر، وفي الدنيا متعلق بأعمالهم، والأخر عطف على الدنيا والهاء والميم يرجعان إلى أولئك
وأولئك ابتداء أيضا أصحاب النار خبر أولئك هم ابتداء فيها خالدون خير الابتداء وفيها
متعلق بخالدون، أولئك والثاني وما تعلق به معطوف على أولئك والأول جملة معطوفة
على جملة والواو عقلت الثانية بالأولى وأولئك إشارة فيهما إلى مَنْ على المعنى، وفيمت ردّ
على اللفظ وما عملت في كتاب الله عز وجل رداً على المعنى وبعده رد اللفظ إلا في سورة
الطلاق في قوله ﴿رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا
يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (٢).

فقال خالد بن على المعنى ثم قال: قد أحسن الله له رزقا على اللفظ (٣). فهو

يخرج المعنى حسب مقتضيات النحو.

وفي قوله تعالى ﴿فَأَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ تَخَشَّوْنَ النَّاسَ
كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً...﴾ (٤).

يقول، يخشون خبر فريق، الناس نصب بيخشون، كخشية الله الكاف في موضع
نصب نعت لمصدر محذوف تقديره خشية كخشية الله . أو أشد خشية، أشد عطف على
المصدر المحذوف ويجوز أن يكون عطفا على خشية، الله في موضع خفض إلا أنه لا

١ - سورة التوبة آية ٦٩.

٢ - سورة الطلاق آية ١١.

٣ - الحوفي: البرهان ٨٨/٤.

٤ سورة النساء آية ٧٧.

ينصرف و خشية منصوب على البيان و العامل في لما معنى يخشون و هو العامل في إذا بتقدير الاستقبال و هذه الآية مشكلة الإعراب لأن فيها ظرفين أحدهما لماضي و الآخر لما يستقبل فجعل جواب ما معنى الاستقبال إذ أخبر عن القوم بالاستقبال و هو قوله يخشون، و العرب قد تفعل هذا فتخبر عن الماضي بالمستقبل فيقولون: ما زال يفعل كذا و جعل يفعل كذا و طفق و ظل لم ينزل و كذلك رأيته يصلي و تركته يحدث أصحابه و إن كان ذلك فيما تقدم من الزمان و تقضى، و هذا في أفعالنا يقع على التأويل، فأما في قول الله عز و جل ﴿...أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ...﴾ (١).

فخبر بالماضي عما يستقبل و قال ﴿... فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) و سوف للمستقبل و إذ لما مضى. (٣) و في قوله تعالى ﴿... قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الَّذِي هُوَ الْهَدَىٰ وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٤) و أن أقيموا الصلاة و أن أقوه و هو الذي إليه تحشرون. (٤) يقول و أن أقيموا الصلاة في أن ثلاثة أوجه:

يجوز أن يكون المعنى أمرنا لأن نسلم و أن أقيموا الصلاة، و يجوز أن يكون المعنى و بأن أقيموا الصلاة فيكون في هذين بالتقدير على حذف الحرف في موضع نصب لما حذف وصل الفعل إليهما، و يجوز أن يكون عطف على المعنى أي يدعونه إلى الهدى و يدعونه أن أقيموا الصلاة لأن معنى اتتنا أن اتتنا، و قال الميرد: أن معطوفة على اللام من لنسلم على معناه، و أن نسلم لأن اللام و أن بمعنى يطلبه كل واحدة منها للمستقبل (٥).

١ - سورة المائدة آية ١١٦.

٢ - سورة غافر آية ٧٠، ٧١.

٣ - الحوفي: البرهان ٩/٨.

٤ - سورة الأنعام آية ٧١، ٧٢.

٥ - الحوفي: البرهان ٧٢/١٠.

وقول الحوفي يتفق مع ما قال به الفراء والنحاس، فالنحاس يقول فيه ثلاثة أقوال فمذهب الفراء أن المعنى وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا، والجواب الثاني، أن يكون المعنى وبأن أقيموا الصلاة والثالثة: أن يكون عطفا على المعنى أي يدعونه إلى الهدى ويدعونه أن أقيموا الصلاة لأن معنى ائتنا أن ائتنا^(١).

والحوفي ببراعته النحوية يخرج القراءة والمعنى حسب مقتضيات النحو، ففي قوله تعالى ﴿... هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ...﴾^(٢).

يقول: فمن رفع رفع على الابتداء والخبر والتقدير هذا لعيسى يوم ينفع الصدق صدق الصادقين، والنصب على الظرف والتقدير، هذا لعيسى يوم ينفع الصدق صدقهم وإن شئت هذا الأمر أو الشأن ينفع الصادقين وليس يقول من قال هو مبني بجيد لأن الظروف لا تبنى إلا أن تضاف إلى اسم غير متمكن أو فعل غير مضارع لأن الظروف لما ضعفت في الاسمية وأضيفت إلى غير متمكن زادا ذلك ضعفاً فتبنى لقوة الضعف ويجوز مع ذلك البناء وتركه لقوتها في الاسمية^(٣).

وفي قوله تعالى ﴿... وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٤).
يقول: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبو بكر إنها بكسرة الهمزة، والباقون بفتحها فالكسر على الاستئناف، قال سيبويه: سألت الخليل عن قوله: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل، فقال لا تحسبن ذلك في هذا الموضع وإنما قال:

١ - النحاس: إعراب القرآن ٧٤/٢، الفراء: معاني القرآن ٣٣٩/١.

٢ - سورة المائدة آية ١١٩.

٣ - الحوفي: البرهان ٧/١٠.

٤ - سورة الأنعام آية ١٠٩.

وما يشعركم ثم ابتداء فأوجب فقال أنها لو قال إنها لكان عذراً لهم، يريد أن تكون إن و ما عملت فيه فاعلة و كسرت على الاستئناف لهذا، و فاعل يشعركم مضمر والتقدير أي شيء يشعركم، و من فتح جعل أن بمعنى لعل و أنشد الأخفش:

قلت لشيبان أدن من لقائه **** أنا نغدي القوم من شواية

و من قال لا زائدة و أن على بابها فليس بشيء لأن ما كان لغواً لا يكون غير لغو لأن من قرأ بالكسر فلا غير لغو لئلا يكون الكلام معناه مرة النفي و مرة غير نفي توجه المعنى على غير الزيادة و لكن يجوز أن يكون الكلام بها على بابها و يكون الكلام حذف التقدير: ما يدريكم أنها إذا جاءت لا يؤمنون و لا تؤمنون "، و يجوز أن تكون أن في موضع المفعول من أجله و الكلام محمول على أنه من عند الله و التقدير: قل إنما الآيات عند الله لا يظهرها أو لا يأتي بها، لأنها لو جاءت لا يؤمنون أي ولا يتوهمونها فليس يأتي بها لإصرارهم على كفرهم عند ورودها و يدل على هذا التقدير " وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ" (١). و الحوفي بهذا يوجه القراءات حسب متطلبات النحو و حملا على المعنى و هذا الجانب أصل في فهم المعنى و قد شغل جانباً كبيراً من تخرجات الحوفي لجانب القراءات (٢).

و الحوفي ببراعته النحوية يخرج الحكم الفقهي حسب مقتضيات النحو، ففي قوله تعالى ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنْتُمْ شِعْمٌ... ﴾ (٣). فبعد أن بين الأقوال التي جاءت في هذا الجانب يقول: و أجمع هذه الوجوه أن يكون المعنى أنتي شئتم أي من أي وجه شئتم لأن أنتي إذا أُبْدِيَتْ بها كان معناها من أي

١- الحوفي: البرهان ٧٩/٢، سورة الإسراء آية ٥٩.

٢- الحوفي: البرهان ٦٠/٢، ١٠٦، ١٢٤، ٢/٣، ٤، ١٧، ٢٩، ٥٢/٤ و قد سبق الإشارة إلى ذلك في القسم الأول.

٣- سورة البقرة آية ٢٢٣.

الوجوه فصارت بمعنى أين وكيف، وقال بعضهم قد جاء الفرق بين أين وأين وأنشد قول الكمي:

أنى ومن أين أبك الطربُ ****
من حيث لا صبوة ولا ريب
فجعل أنى سؤالا عن الوجوه وأين سؤالا عن الأمكنة (١).

وهذا القول في معنى أن أجمع عليه العلماء فقالوا: أنى مشتركة بين الاستفهام والشرط ففي الشرط تكون بمعنى أين نحو: أنى يقيم زيد يقيم عمرو، وتأتي بمعنى "كيف كقوله تعالى (... أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا...) (... فَأَنَّى هُمْ...) (٢) (... فَأَنَّى تُؤَفِّكُونَ) (٣) فأتوا حرثكم أنى شئتم أي كيف شئتم مقبلة ومدبرة (٤)، وقال ابن فارس والأجود أن يقال في هذا أيضا "كيف" (٥) فهو في هذه كيفية تعلقها بغيرها من الكلمات التي وردت في الآية ليقف بذلك على المعنى، والأمثلة على ذلك كثيرة ففي قوله تعالى ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمَلَكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴾ ﴿٧٣﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَرَأْتَتَّخِذُكُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّي أَرَأَيْتَكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٦﴾ يقول: هذا وهو رفع بالابتداء.

١- الحوفي: البرهان ٤/٤٠، سورة البقرة آية ٢٥٩.

٢- سورة محمد آية ١٨.

٣- سورة الأنعام آية ١٨.

٤- الزركشي: البرهان ١/٢٤٩.

٥- الزركشي: نفسه ٤/٢٤٩ وابن فارس: فقه اللغة ١١٣.

٦- سورة الأنعام الآيات ٧٣، ٧٤، ٧٥.

الذي خلق السموات والأرض خبر الابتداء ، بالحق متعلق بخلق ويوم يقول كن فيكون : يوم إن عطفته على الهاء من واتقوه كان التقدير: واتقوه يوم يقول، وإن عطفته على السموات كان العامل تقديره خلق السموات والأرض وخلق يوم يقول ويجوز أن تضمّر فعلا غير ما ذكرنا وتقديره واذكر، وكن أمرا مستأنفا أي إذا قال كن فهو يكون يجوز أن يكون المقول له كن الصور فيكون الصور، ويجوز أن يكون المقول له جميع الأشياء فيكون جميع ما أراد من موت و حياة وغير ذلك وذكر ذلك ليدل على سرعة البعث والساعة كأنه يقول للخلق موتوا فيموتون وانتشروا فينتشرون فيكون قوله على هذا رفعا بالابتداء والحق خبره ويجوز أن يرتفع قوله بـيكون أي بـيكون أي فيكون قوله، والحق نعت لقوله أي يأمر فيقع أمره والهاء في قوله عائده على الرب تعالى وله الملك يوم ينفخ في الصور: الملك رفع بالابتداء وله الخبر متعلق بمعنى الاستقرار، وكذلك يوم ينفخ في الصور ذكر ذلك وهو المالك للأشياء في يوم النفخ في الصور وغيره لأنه يوم لا يدعي فيه أحدا ملكاً سواه، ويجوز أن يكون اليوم بدلا من يوم يقول، ويجوز أن يكون متعلقا بقوله: قوله الحق يوم ينفخ في الصور و ينفخ فعل مستقبل لما لم يسم فاعله وفي الصور في موضع اسم ما لم يسم فاعله، عالم الغيب والشهادة ويجوز في عالم أن يكون نعتاً للذي خلق السموات والأرض، ويجوز أن يرفع على إضمار مبتدأ ويجوز أن يكون محمولا على المعنى كأنه قيل مَنْ النافخ فقيل عالم الغيب والشهادة، ويجوز أن يكون عالم الغيب رفع بيقول أي ويوم يقول عالم الغيب والشهادة للشيء كن فيكون وهو الحكيم الخبير ابتداء وخبر، وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر، إذ ظرف العامل فيه فعل محذوف تقديره: وأذكر إذ قال إبراهيم ودلّ هذا أيضا على إضمار اذكرله يوم يقول لأبيه متعلق به فقال آزر بدل من أبيه إلا أنه ينصرف لأنه على وزن أفعل معرفة ومن جعله اسم لصنم نصبه بإضمار فعل تقديره: أتناخذ

آزر وتجعل أصناما بدل من آزر وتجعل آزر اسم جنس حتى يصح بذلك الجمع منه وقرأ الحسن آزر بالرفع على نداء المفرد، ويجوز نصب أصناما بتتخذ الظاهر والتقدير: أتتخذ آزر ثم قال بعد أن قال: اتتخذ آزر إلهها أتتخذ أصناما آلهة، أتتخذ دخلت ألف الاستفهام على تتخذ للتقرير أصناما نصب بتتخذ آلهة مفعول ثاني لتتخذ، إني أراك وقومك في ضلال ميين، الياء اسم وإن و أراك الخبر وقومك عطف على الكاف في متعلق بأراك، مبين نعت لضلال، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض" ، الكاف للتشبيه والعامل فيها نرى أي شبه رؤيته للملكوت السموات والأرض كشبه رؤيته لاستقباح ما كان عليه أبوه وقومه من عبادة الأصنام وذلك إشارة لهذا المعنى و ملكوت نصب بئري والتقدير أريناه ذلك، وليكون إبراهيم مفعول و ملكوت مفعول ثان و ليكون لام كي ويكون نصب بها وهي متعلقة بئري واسم كان مضمرة فيها، ومن الموقنين الخبر، والعامل في من معنى الاستقرار والتاء والواو في ملكوت زيدتا للمبالغة لأنه من الملك، وكذلك رهبوت من الرهبة ورحموت من الرحمة (١).

وهو في معالجاته النحوية يجمع بين شتى الاتجاهات فنراه تارة يرجح مذهباً نحويّاً على آخر، وأخرى يجمع بين المذهبين في المسألة الواحدة.

ففي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ..﴾ (٢)، يقول أولئك رفع بالابتداء والذين مع صلته خير الابتداء (٣).

وهو بذلك يخالف المذهب الكوفي القائل بأن: المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان، وذلك نحو " زيد أخوك"، " عمرو غلامك" (٤)، يؤيد المذهب البصري

١- الحوفي: البرهان ٧٥/١٠.

٢- سورة البقرة آية ١٦.

٣- الحوفي: البرهان ٦٤/١.

٤- أبو البركات بن الانباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ٤٤/١.

القائل: بأن المتبدأ يرفع بالابتداء^(١). وهو في نفس الآية يرجح المذهب الكوفي دون البصري يقول: إن " الضلالة " نصب باشتروا^(٢)، فهو يجعل العامل في المفعول هو الفاعل والفاعل، ولقد ذهب الكوفيون إلى أن العامل في المفعول نصب الفعل والفاعل جميعاً نحو: " ضرب زيداً عمراً" ويخالف المذهب البصري القائل بأن الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول معاً^(٣)، وفي نفس الآية يجمع بين المذهبين البصري والكوفي. ففي قوله تعالى: "اشتروا" يقول وضم الواو لالتقاء الساكنين، وفي اختيار الضم أربعة أقوال قال سيبويه: ضمت فرقاً بينهما وبين الواو الأصلية نحو وأن لو استقاموا" وقال الفراء: كان يجب أن يكون قبلها مضموماً، لأنها واو جمع فيكون " اشتريوا" فاستثقلوا الضمة على الياء فحذفت وحذفت الياء لالتقاء الساكنين فلما احتاجوا إلى حركة الواو الساكن الذي بعدها حركوها بالحركة المحذوفة هذا معنى قوله. وقال ابن كيسان: الضمة في الواو أخف من غيرها، لأنها من جنسها. قال أبو إسحاق: هي واو جمع حركت بالضم، كما فعل في نحو^(٤).

والحوفي بهذا جمع بين قول سيبويه والفراء و سيبويه^(٥) بصري والفراء^(٦) كوفي كما جمع بين قول ابن كيسان والزجاج، وابن كيسان^(٧) يجمع بين النزعتين

١- ابن الأنباري: نفسه ٤٤/١.

٢- الحوفي: البرهان ٦٤/١.

٣- ابن الأنباري: السابق ٧٨/١.

٤- الحوفي: البرهان ٦٤/١.

٥- سيبويه:

عده أبو بكر الزبيدي في كتابه " طبقات النحويين و اللغويين" في الطبقة السادسة من نحاة البصرة و قال عنه : هو عمرو بن عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مالك بن أزد أخذ عن الخليل و توفي سنة ١٨٠ هـ . " طبقات الزبيدي ٦٦ / ٧٢ "

٦- الفراء :

عده الزبيدي في الطبقة الثالثة من نحاة الكوفة و قال عنه : هو أبو زكريا يحيى ابن زياد بن عبد الله بن منصور الدليمي الفراء و كان أبرع الكوفيين في علمهم توفي سنة ٢٠٧ هـ. الطبقات (١٣١ - ١٣٢)

٧- ابن كيسان :

عده الزبيدي في الطبقة السادسة من نحاة الكوفة قال عنه : أنه ابن الحسن محمد بن أحمد الكيسان، كان بصرياً كوفياً يحفظ القولين و يعرف المذهبين توفي سنة ٢٩٩ هـ (طبقات الزبيدي ١٥٣)

والزجاج^(١) نزعته بصرية .

وهو في هذا الصنيع لا يرصد الأقوال بل يحدد مفهومه أولاً ثم يأتي بالأقوال بعد ذلك سواء كانت تلك الأقوال مؤيدة أو مخالفة، فهو في هذه الآية لم يذكر تلك الآراء إلا بعد ذكر رأيه يقول " في قوله تعالى: "... أَشْتَرُوا الصَّلَاةَ ... " ^(٢) وضم الواو لالتقاء الساكنين والملاحظ أن الحوفي قد تغلبه ثقافته اللغوية فيستطرد من استخدام الحوفي لتوليد المعنى واستنتاجه إلى العناية بالقاعدة النحوية ليصبح نحواً نظرياً أحياناً، ولكي يتبين لنا هذا سوف نعرض صنيعه في آية واحدة ثم نمثل لاهتماماته بالقاعدة على مستوى تفسيره :

ففي قوله تعالى ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ ^(٣)

يقول: ذلك اسم مبهم لأنه غير متمكن لا يثبت على المسمى في الغيبة والحضرة كما تثبت الأسماء وإنما هو اسم موضوع للإشارة فبني لهذه العلة، وقيل بني لتعلق فائدته بمعنى الإشارة فصارت فائدته بغيره فأشبه الحروف التي فائدتها مقترنة بغيرها وهذا الاسم محذوف اللام وهي ياء والدليل على أنها ياء جواز الإمالة في ذا فدلّت على أن العين ياء وإذا ثبتت العين بأنها ياء وجب ألا تكون اللام واو، قال سيبويه ليس في الكلام مثل حيوت، فالاسم ذا والكاف للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، اللام يدل على التراخي وهي لام توكيد وكُسِرَتْ فرقا بينها وبين لام الجر في ذلك، وذلك في موضع بالابتداء والكتاب نعت له ولا ريب فيه خير كأنك قلت: ذلك الكتاب حق، ويجوز أن يكون ذلك خيراً ابتداء محذوف والتقدير هذا ذلك الكتاب ، ويجوز أن يكون خيراً ألم وهدى للمتقين خير بعد خبر، ويجوز أن يكون ذلك في موضع رفع بالابتداء والكتاب خبره ولا ريب فيه

١- الزجاج :

عده في الطبقة التاسعة من نحاة البصرة و قال عنه : أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج توفي سنة ٣١٦ هـ (طبقات الزبيدي ١١١ - ١١٢)

٤- الحوفي: البرهان ١/٦٤.

٥- سورة البقرة آية ٢ .

٢- سورة البقرة آية ١٦ .

٣- سورة البقرة آية ٢ .

هدى للمتقين نصب على الحال كأنك قلت : ذلك الكتاب حقا ذا هدى والعامل في الحال الإشارة، ولا ريب مبني مع لا، ولا تبني مع النكرات كقولك ، لا رجل ولا غلام وإذا حيل بينها وبين ما تدخل عليه لم تعمل وكذلك إذا دخلت على المعارف لم تعمل شيء ويبني الاسم معها بناء خمسة عشر على الفتح وموضعه رفع فإن نعته جاز فيه ثلاثة أوجه: البناء والنصب على اللفظ لشبهه بالمعرب والرفع على الموضع تقول: لا رجل ظريف فتبني ظريف مع الرجل، ولك أن تقول: لا رجل ظريفا ولك أن تقول لا رجل ظريف على موضع رجل وهدى اسم مقصور لا يتبين فيه إعراب فهو في الرفع والنصب والجر على اللفظ واحد والأصل فيه هدى على وزن فُعَل قلبت ياءه ألفا لتحريكها وانفتاح ما قبلها فإذا جئت بالتنوين حذفت الألف لسكونها وسكون التنوين وهدى يجوز أن تكون نصبا حالا مع الكتاب والعامل فيه الإشارة ويجوز أن تكون حالا من الهاء في " لا ريب فيه " والعامل في الظرف وهو الاستقرار ويجوز أن تكون رفعا تكريرا لذلك الكتاب ويكون الكتاب لذلك فكأنه الكتاب هدى ويجوز أن تكون خبرا لقوله لا ريب فيه هدى خبر بعد خبر، وكذلك يكون أيضا خبر بعد خبرل ذلك الكتاب " ، ويجوز أن تكون رفعا على إضمار مبتدأ أي " هو هدى " واللام فيه للمتقين بهدى والمتقين الأصل فيها " مؤتقين " ثم أبدلت الواو تاء كما أبدلتها في تجاه ثم أدمجت التاء في التاء واستنقلوا الكسرة في الياء التي هي لام الفعل فحذفوا الكسرة فبقيت الياء ساكنة وبعدها الياء ساكنة التي هي علامة الخفض فالتقى ساكنان فحذفت الياء الأولى لالتقاء الساكنين ولن تحذف الثانية لأنها دليل الإعراب والجمع، وكذلك المتقون تحذف التاء لسكونها وسكون الواو، ويقال اتقى يتقي اتقاء وتوقاه توقيا وأصل متق مأثوق فقلبت الواو تاء لأنها ساكنة وبعدها تاء مفتعل إذا كانوا يفرون إليها في مثل اتجاه وتراث كراهية للحررة في حرف العلة (١).

وهو في إعرابه لهذه الآية- على هذا المنوال على مدى آيات النص القرآني يكشف لنا مسائل النحو المتعددة فيبين لنا العلة التي أوجبت البناء للاسم وهي شبه الاسم للحرف ويعلل ذلك بقوله: "ذلك": اسم مبهم لأنه غير متمكن لا يثبت على المسمى في الغيبة والحضرة كما تثبت الأسماء، وإنما هو اسم موضع للإشارة فبني لهذه العلة^(١). وكما يقول: وقيل بني لتعلق فائدته بمعنى الإشارة فصارت فائدته بغيره فأشبهه الحروف التي فائدتها مقترنة بغيرها^(٢).

وهذا ما نوه عنده ابن مالك بشبه الحرف في الافتقار اللازم عليه الإشارة بقوله وكافتقار أصلا " وقول ابن عقيل وذلك كالأسماء الموصولة، نحو: "الذي" فإنها مفتقرة في سائر أحوالها إلى الصلة فأشبهت الحرف في ملازمة الافتقار فبنيت، وحاصل البيتين^(٣). إن البناء يكون في ستة أبواب: "المضمرات وأسماء الشرط، وأسماء الاستفهام وأسماء الإشارة، وأسماء الأفعال والأسماء الموصولة"^(٤).

وتعليل الحوفي للأسماء الموصولة في قوله (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...) يقول والذين خفض بإضافة صراط إليهم وهو اسم ناقص لا يتم إلا بصلة وعائد وهو مبني لأنه لا يتم إلا بالصلة فكأن بعض الاسم وبعض الاسم لا يستحق الإعراب هذه اللغة الفصحى، ولغة ليست بفأشوية ترفع في موضع الرفع وتنصب وتجر^(٥). قال الشاعر:
وبنو نويجة اللذون كأنهم **** معط مخدمة من الخِرَّان^(٦)

١ - الحوفي: البرهان ٣٠/١ .

٢ - الحوفي: البرهان ٣٠/١ .

٣ - البيهقي لابن مالك يقول:

كالشبه الوضعي في اسمي جنتنا **** والمعنوي في متى وفي هنا

و كتابه عن الفعل بلا **** تأثر، وكافتقار أصلا (ابن عقيل ٣٠/١)

٤ - ابن عقيل: شرح ألفية ابن مالك ٣٤/١ .

٥ - هذه اللغة هي لغة هزيل يقول الأشموني وبعضهم هم هزيل أو عقيل بالواو رفعا نطقا، " شرح الأشموني ٦٨/١ "

٦ - الحوفي: البرهان ٢١/١ . الخِرَّان جمع خَرَزٌ وهو ولد الأرنب وقيل هو الذكر من الأرنب، والجمع أحرزة

و خِرَّان " اللسان مادة خَرَزَ "

كما يعلل سبب بناء الظرف، ففي قوله تعالى:

﴿ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ﴾^(١)

يقول: " من قبل " من متعلق برزقناه وقبل مبني لأنه جعل غاية للاسم ومعنى غاية الاسم أنه حذف ما أضيف إليه فصار ما بقي كأنه غاية الاسم منتهاه وبني على الضم لأنه غاية الحركات فجعلت الغاية للغاية، وقيل أن النصب والجركانا يدخلانه في حال إعرابه فأعطى حركة لا تكون له في حالة الإعراب ليعلم أنها حركة بناء لا حركة إعراب، فان قيل لما بني على الحركة وحكم كل مبني السكون ؟ قيل: لما كنت متمكنا قبل البناء ولحقه البناء لأجل ما حذف منه فأشبهه الحرف إذا صار كأنه بعض الاسم وبعض الاسم لا يستحق إعرابا بني على حركة ليفرق بين ما يُمكن في بعض جهاته وبين ما لم يتمكن في جميع جهاته نحو: كم ومن وإذ الذي لم تكن له حالة تتمكن فيها وأختيرت له الضمة لما عرفتكم^(٢).

وما يميز منهج الحوفي كعالم نحوي أنه يبيّن الوجوه الإعرابية في الكلمة الواحدة يعلل لكل وجه، ولقد بيّنا ذلك في الآية السابقة وكما قلنا هو على هذا المنوال على مدى آيات القرآن الكريم ولذلك سوف نكتفي بضرب أمثلة فقط شاهداً على صنيعه ففي قوله تعالى (ذَلِكَمُ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكٰفِرِينَ)^(٣). يقول ذلكم رفع بالابتداء والخبر محذوف والتقدير ذلكم الأمر، يجوز أن يكون ذلكم الخبر والأمر بالابتداء وجاز حذف أحد الاسمين للإيجاز والاختصار مع الدلالة عليه، ويجوز أن يكون ذلكم في موضع نصب على إضمار فعل تقديره: فعلنا ذلكم والإشارة إلى القتل أو إلى بلاء المؤمنين بلاء حسناً^(٤).

١ - سورة البقرة آية ٢٥.

٢ - الحوفي: البرهان ٩/١.

٣ - سورة الأنفال آية ١٨.

٤ - الحوفي: البرهان ٦٦/١٢، ٦٧.

والحوفي دقيق في تقديراته النحوية وتعليقاته، فإذا تعرض لمسألة أجمع عليها النحويون وشدَّ منهم واحد نبَّه عليه وانتصر لرأيه أو ردَّه ففي قوله تعالى: "يا أيها" يقول: واختلف في نعت أي، فالنحويون كلهم يقولون الذي يعمل في المنادى يعمل في نعته إلا الأخصف فإنه قال: أي مبهم يحتاج إلى صلة والذين صلة لأي وهو رفع على إضمار مبتدأ كأنه قال: "يا من هم الذين" وكلهم لا يجيز في نعت "أي" إلا الرفع إلا المازني فإنه يجيز النصب فتقول: "يا أيها الرجل" (١).

والحوفي في بيانه أوجه الإعراب يرجح وجها ويضعف الآخر ويعلل لكل وجه ففي قوله تعالى (... غَيْرَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (٢). يقول: وغير خفض لأنه نعت للذين ويجوز أن يكون بدلا من الذين ومن نصب غير فلجتهين أحدهما على الحال من الهاء والميم وإن شئت من الذي فإن كان حالا من الهاء والميم كان العامل أنعمت وكان داخلا في الصلة وهو أظهر ومن جعله حالا من الذين حملة على المعنى ونصبه بإهدنا أن التقدير كما هديت الذين أنعمت عليهم وليس بالجد لأنه إنما يحمل على التأويل دون الظاهر والصواب أن الهاء والميم في عليهم متعلق بأنعمت، وغير إذا كان نعتا للذين فالذين على طريق الجنس وليس يراد به معهود لأن لغير لا تتعرف تعريف العهد لأنها إذا جرت على معرفة غير مؤقتة جاز أن تكون صفة لها وأن تتعرف بالإضافة كقولك إن لأمر بالصادق غير الكاذب فيجري على طريق التنقيض كالصادق والكذاب والبر والفاجر فدلّت من طريق التنقيض على الواحد فجاز بهذه الطريقة أن تكون نعتا لغير المؤقت فإنما جعلت حالا، وإن كان مضافة إلى معرفة فإنها لا تتعرف لأنها غير مقصود بها شيء بعينه لأن كل ما غايرك فهو غيرك والوجه الآخر في نصب غير أن يكون على

١ - الحوفي: البرهان ١٠/٣.

٢ - الحوفي: البرهان ٣٣/١.

الاستثناء المنقطع^(١). ووافق ابن هشام على ذلك غير أن ابن هشام حدّد أن غير تكون صفة لا حالا ، في حين أن الحوفي حدّد متى تكون حالا يقول: ولا تتعرف غير بالإضافة لشدة إبهامها، وتستعمل غير المضافة لفظا على وجهين، أحدهما : وهو الأصل أن تكون صفة للنكرة «نَعَمَلٌ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ»^(٢) ، أو لمعرفة قريبة منها نحو (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ...) (سورة الفاتحة : من الآية ٧) لأن المعرف الجنس قريب من النكرة ولأن غير إذا وقعت بين ضدين ضعف إبهامها، والثاني أن تكون استثناءً فتعرف بإعراب الاسم التالي: "إلا" في ذلك الكلام^(٣).

وهو يبين انه إذا دخل عامل على عامل فلايهما يكون العمل ؟ ففي قوله تعالى «فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»^(٤).

يقول: يقال كيف دخلت إن على لم ولا يدخل عامل على عامل؟ يجب بقوله والجواب أن إن غير عاملة في اللفظ فدخلت على لم، كما لم تدخل على الماضي، ولأن لم حرف نفي فسهل دخولها عليها كما تدخل على حرف النفي ففي قوله تعالى :

«...إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ...»^(٥)، فهو يقارن دخول أن على لم كدخول إن على لا ، ثم ينتقل إلى تعليل لم التي عملت الجزم يقول: ولم تجزم لأنها أشبهت إن التي للشرط لأنها ترد المستقبل إلى كما ترد إن الماضي إلى المستقبل ويعلّل سبب عمل إن الجزم يقول : وجزم بإن التي للشرط لأنها تدخل على الفعل فتحتاج إلى جواب

١ - الحوفي: البرهان ٣٣/١.

٢ - سورة فاطر آية ٣٧.

٣ - ابن هشام : مغنى اللبيب / ١٥٨ .

٤ - سورة البقرة آية ٢٤ .

٥ - سورة الأنفال آية ٧٣ .

فأشبهت الابتداء والابتداء يلحق معه الأسماء الرفع وهو أول ما للأسماء وكذا مع إن لأن أول ما للأفعال السكون، وقيل لما تعلق بالشرط، والجواب وهما يتعلقان بفعلين طال الكلام اقتضى تخيف فحذف ذلك بالحذف. ثم يفرق بين ما يختص به الفعل دون الاسم وهو الجزم مع حركات الإعراب وبيّن ما يختص من حركات الإعراب، وبيّن ما يختص به الاسم وهو الجر يقول: وقيل لما كانت يشترط بها وهو معنى لا يدخل الاسم أي الجزم أعطيت إعرابا لا يكون في الاسم وهو الجزم، كما أن حرف الجر لما كان في الاسم دون الفعل أعطي إعرابا لا يكون في الفعل^(١). فهو لكي يوضح العامل يأتي بمقارنات ليخرج لنا أحكاما نحوية استقرت فيما بعد.

وهو يبيّن أن الذي يقع عليه الإعراب هو المفرد وما يقع موقعه ففي قوله تعالى: "ولن تفعلوا" يقول ولن تفعلوا اعتراض بين الشرط وجوابه، والفعل فيه منصوب "لن" وعلامة النصب حذف النون، ثم يعلل ذلك بقوله: ووقع الاعتراض بين الشرط وجوابه كما يقع الاعتراض بين المبتدأ وخبره في قولك: "زيد فافهم ما أقول رجل صدق" ثم يبيّن القاعدة النحوية يقول: ولا موضع لهذه الاعتراضات من الإعراب لأن كل جملة لم تقع موقع المفرد فلا موضع لها من الإعراب إذا لم يعمل فيها عامل^(٢).

كما يبيّن أن تغيير الحركة الإعرابية يغير المعنى يقول: والوقود بالفتح الحطب وبالضم الفعل، أي الحدث نفسه^(٣).

كما يبيّن أن البديل منه بدل المعرفة من المعرفة، ففي قوله تعالى (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ... ٧) (سورة الفاتحة: من الآية ٧) يقول: صراط منصوب على البديل من

١ - الحوفي: البرهان ٩١/١ .

٢ - الحوفي: نفسه ٩٢/١ .

٣ - الحوفي: نفسه ٩٢/١ .

الصراط وهذا بدل المعرفة من المعرفة وأصل هذا البديل الذي هو بدل الشيء من الشيء كأنه مجموع خبرين جعلاً خبراً واحداً^(١).
والحوفي يكشف عن عديد من القضايا النحوية ويعلل لها مستنداً على أقوال أئمة النحو واللغة، ومن تلك القضايا:

١. أركان الجملة:

يقول: والاسم كلمة تدل على معنى دلالة إشارة دون الإفادة، والفعل كلمة تدل على معنى دلالة الإفادة دون الإشارة، وقيل الاسم كلمة تدل على معنى في نفسه مفرد من الزمان المختص، والفعل يدل على معنى وزمان مختص، والحرف ما كان معناه في غيره مما معناه فيه^(٢). فأركان الجملة عنده هي الاسم والفعل والحرف وهذا ما أجمع عليه النحويون.

٢. علامة الإضمار:

يقول: وعلامة الإضمار خمسة عشر علامة، للمخبر عن نفسه خمس علامات مرفوعتان متصلتان ومنفصلتان، فالمرفوعة المتصلة قولك: قمت وقعدت فإن أخبرت عن نفسك وعن آخر أو آخرين قلت: قمنا وقعدنا، والمنفصلة: أنا ونحن، وعلامتان منصوبتان منفصلة ومتصلة، فالمتصلة: أطاعني وأكرمني أعطانا وأكرمنا، والمنفصلة إياي وإيانا ومجرورة لا تنفصل كقولك: غلامي وصاحبي وعلامتنا وصاحبنا والمخاطب له خمس علامات: كما تقدم فالمرفوعة المتصلة قمت وقعدت وقمتما وقعدتما وقمتم وقعدتم، والمنفصلة: أنت وأنتما وأنتم فالاسم الألف والنون والتاء للمخاطب لا موضع لها من الإعراب، والمنصوبة المتصلة الكاف في: كَلَّمْتُكَ وأكرمتك وكلمتكما وأكرمكما

١ - الحوفي: نفسه ٢١/١ .

٢ - الحوفي: نفسه ٢/١ .

وكلمتكم وأكرمتم، وإيا المنفصلة فيإياك وإياكما وإياكم وأما المجرورة فغلامك
وغلامكما وغلامكم وللغائب خمس علامات أيضا فعلامة المرفوعة المتصلة مستترة في
الفعل في الواحد كقولك: زيد قام وقعد، فإن ثنيت ظهرت العلامة فقلت: الزيدان قاما
وقعدا، والمنفصلة كقولك: هو وهما وهم، وأما المتصلة المنصوبة فالهاء في ضربته وضربتها
وضربتهما وضربتهن، وأما المنفصلة فيأياه وإياهما وإياهم وإياها وإياهن
وأما المجرورة: فغلامه وصاحبه وغلامهما وغلامهم وغلامها وغلامهن وأصل الإضمار
الستر لأنه خلاف الإظهار وإذا قدرت على المتصل لم تأت بالمنفصل ألا ترى أنك تقول
قمت ولا تقول قام أيها وتقول كلمتك ولا تقول كلمت إياك (١).

٣. الاسم المنقوص:

يقول: والذي مبنية لأنه اسم ناقص لا يتم إلا بصلة وعائد، ويقال: ما الذي دعا
إلى أن يكون الاسم منقوصا ثم تم بصلة الجواب الحاجة إلى أن يوصف المعرفة بمعنى
الجملة بما تبعت النكرة وهذا في الذي ونظير، الذي من الأسماء النواقص وهي التي والألف
واللام بمعنى الذي (٢) ومن وما وأي وأن هي نواقص لا تتم إلا بصلة والحاجة إلى
الصلة في من الإخبار عن الجملة تقول: من أبوه منطلق أخوك وعلى ذلك قياس أن إلا أنك
تخبرني أن عن معنى المصدر ويثنى الذي فتقول اللذان بالتخفيف والتشديد، والتشديد
عوض عن المحذوف وهو الياء وإنما حذف الياء من الذي في التثنية لأنها ساكنة لاحظ
لها في الحركة فلما جئت بألف التثنية وهي ساكنة والياء ساكنة التقى الساكنان
فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، فأما تثنية قاضي فانك تقول قاضيان فتثبت الياء

١ - الحوفي: البرهان ١٦/١.

٢ - والألف واللام بمعنى الذي عليه شاهد، يقول الشاعر:

ما أنت بالحكم التضي حكومته.... ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

و هو بيت الفرزدق والشاهد فيه: الترضي ومعناه: لست أيها الرجل بالذي يرضاه الناس للفصل في أفضيتهم .

(شرح ابن عقيل ١٥٧/١)

وتحركها لأنها كانت في الأصل تستحق حركة فتحركها فلما احتجت إلى حركتها حركتها بالحركة التي كانت تستحقها ولم يكن الذي كذلك لأنها لا تستحق حركة من حيث هي مبنية وقاضي معرب تستحق حركة، ويقال لم بني في الواحد وإعراب في التثنية، الجواب: إن التثنية تخرجه عن شبه الحرف إذا كان الحرف لا يثنى فإنما بني لأن الجمع الذي ليس على حد التثنية كالواحد ألا ترى أن إعرابه كإعراب الواحد والبناء في الجمع وأقيس من لغة من أعرب^(١). فقال في الجمع اللذون لأنه لما بني الواحد بني الجمع لشبهه بالواحد وقربه منه كما بني هذا وأولئك والذي توصل بأربعة أشياء بالفعل والفاعل والابتداء والخبر والظرف التام وحرف الشرط وجوابه^(٢).

اشترط العلماء في جملة الصلة أن صلة الموصول لا تكون إلا جملة أو شبه جملة ونعني بشبه الجملة الظرف والجار والمجرور وهذا في غير صلة الألف واللام^(٣).

والحوفي في تعليقه لا يتعصب لرأي أو لذهب فمع أن الحوفي يُعدُّ تلميذاً غير مباشر للنحاس إلا أنه يرجح قول الكسائي على قول النحاس وعلل سبب الترجيح ففي قوله تعالى ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا...﴾^(٤)

يقول: يوماً منصوب باتقوا والتقدير واتقوا يوماً لا تجزي فيه نفس عن نفس شيئاً وقيل المحذوف هاء والتقدير: لا تجزيه نفس، وحذفت الهاء وهذا قول الكسائي ومنع الكسائي التقدير بحذف فيه، وقال لو جاز هذا لجاز الذي تكلمت زيد، يريد تكلمت فيه، وقال أبو جعفر النحاس الذي قاله الكسائي لا يلزم لأن الظروف يتوسع فيها ما لا يتوسع في غيرها، يقول الحوفي: وقول الكسائي جيد لأن اليوم ها هنا قد صار مفعولاً وليس

١ - و لغة من أعرب الشاهد عليه:

نحن اللذون صَبَّحُوا الصبَاحَايوم النخيل غارةٌ مَلْحَاخَا
و الشاهد فيه قوله: " اللذون" حيث جاء به الواو في حالة الرفع، كما لو كان جمع مذكراً سالماً " شرح ابن عقيل ١٤٤/١ - ١٤٥ "

٢- الحوفي: البرهان ٣٥/١.

٣- ابن عقيل: شرح ألفية بن مالك ١٥٤/١ وابن هشام: مغني اللبيب ٤٠٩/٢.

٤ - سورة البقرة آية ٤٨.

بظرف وإضمار المفعول الهاء لأن المعنى: واتقوا عذاب يوم، ثم حذف عذاب وأقيم اليوم مقامه فهو مفعول لا ظرف والمفعول لا يقدر نفي وينشد: ويوم شهدناه سليماً و عامراً فجعل اليوم مشهوداً، وإنما المعنى شهدنا فيه فتوسع فيه جميع الظروف يجوز أن يجعل مفعولات على السعة إلا مع الفعل الذي يتعدى على ثلاثة مفعولين فإنه إذا تعدى إليهما لم يحسن أن يتعدى إلى مفعول رابع فالكلام على قول الكسائي محمول على اللفظ لكونه مفعولاً على السعة وعند غيره على المعنى لأنه ظرف وإن توسع فيه لأن اليوم لا يجزي وإنما يجزي فيه نفس عن نفس شيئاً" جملة في موضع النعت ليوم^(١).

والحوفي إذا تعرض لأداة من الأدوات بيّنها وبيّن عملها وأوجه الإعراب فيها وهذه أمثلة من صنيع الحوفي بها:

٤. ما (٢):

ففي قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾^(٣) يقول: ما: تكون على أحد عشر وجهاً دائرة كثيراً في الكلام ستة أسماء وخمسة حروف، فالأسماء الاستفهام في قولك: "ما أحسن زيد؟ أي أي شيء أحسن منه؟ والتعجب كقولك "ما أحسن زيداً"، والشرط كقولك "ما تصنع أصنع". فهي في هذه تامة لا تحتاج إلى صلة، وبمعنى الذي كقولك: "ما أكل خبز" بمعنى الذي يأكل خبز" كقوله تعالى ﴿.....أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٤).

بمعنى الذي كانوا يعملون، ويكون بمعنى المصدر كقوله عز وجل:

١ - الحوفي: البرهان ١/١٥٨.

٢ - ما: قسمها ابن هشام إلى: اسمية و حرفية، وكل واحدة منهما ثلاثة أقسام: لقسم الأول أن تكون معرفة- وتكون على ضربين: الأول: المعرفة الناقصة وهي الموصولة. الثاني: التامة وهي إما عامة وإما خاصة، القسم الثاني: أن تكون نكرة مجردة عن معنى الحرف، هي إما ناقصة أو تامة، فالناقصة هي الموصوفة، والتامة تقع في ثلاثة أبواب: التعجب وباب نعم و بنس، وفي نحو قولهم: إن زيدا مما أن يكتب. القسم الثالث: أن تكون نكرة مضمنة معنى الحرف وهي نوعان: الاستفهامية والشرطية.

٣ - سورة البقرة آية ٤.

٤ - سورة التوبة آية ١٢١.

﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ (١).

بمعنى و بنائها، وتكون اسما نكرة موصوفة كقوله تعالى:

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ...﴾ (٢)

المعنى: فبشيء من رحمة الله فهذه الأسماء والحروف: تكون جحداً كقوله عز وجل ﴿...وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا...﴾ (٣)، وكافة لأن عن عملها كقوله عز وجل: ﴿...إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ...﴾ (٤)

و مغيرة للحرف عن عمله كقوله تعالى ﴿... لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ...﴾ (٥)

بمعنى هلا ، وهذه تسمى بالمسلطة سلطت على تغيير معنى لو ، وكذلك دخولها على إذا تجازي بها معها وقد تكون زائدة في قوله: " فبما رحمة من الله " كأنه " في قوله فبما رحمة من الله " كأنه فبرحمة من الله " ومعناها التوكيد وكذلك كل حرف زائد في كتاب الله معناه التوكيد ، وسألت أبا محمد المدائني عن التوكيد وما معناه ونحن نجد إسقاطه لا يحل بالحرف فقال هذه يعرف أهل الطباع إذ يجدون أنفسهم بوجود الحرف على معنى زائد لا يجدونه بإسقاط الحرف ، وقال مثال، مثال ذلك مثال العارف بوزن الشعر طبعاً فإذا تغيّر البيت بزيادة أو نقصان أنكره وقال أجد نفسي على خلاف ما أجدها بإقامة الوزن لا تقدر بزيد على هذا فكذلك هذه الحروف تتغير نفس المطبوع عند نقصانها و يجد نفسه بزيادتها على معنى بخلاف ما يجدها بنقصانها فهذه وجوه ما وقد ذكر قوم وجوهاً أخر تتداخل في هذه الوجوه المذكورة كقولهم أحسن إلى فلان ما أحسن إليك أي مدة هذه ظرف بمعنى المصدر كأنك قلت: أحسن مدة إحسانه إليك وقالوا تكون بمعنى مَنْ كقول العرب: " سبحان مَنْ سبح الرعد بحمده " أي سبحان مَنْ سبح الرعد بحمده ، وهذه التي

١ - سورة الشمس آية ٥ .

٢ - سورة آل عمران آية ١٥٩ .

٣ - سورة يوسف آية ١٧ .

٤ - سورة الرعد آية ٧ .

٥ - سورة الحجر آية ٧ .

بمعنى الذي، وقالوا تكون للعوض في قولك: "أما أنت منطلقاً انطلقت معك" كأنه قال: "أن كنت منطلقاً انطلقت معك" وهذه التي سلطت على حذف كنت^(١).
وتقسيم الحوفي لـ "ما" تقسيم استوعب كل أقوال السابقين عليه ووافقه في ذلك كثير من اللاحقين، وقد ذكر ابن هشام أقسام ما وفرع فيها وبيّن أن ابن خروف عدّ ما المصدرية حرف باتفاق، يقول ابن هشام: وزعم ابن خروف أن "ما" المصدرية حرف باتفاق ورد عن من نقل فيها خلافاً، والصواب مع ناقل الخلاف^(٢).
فابن هشام يتفق مع الحوفي في أن "ما" المصدرية اسم وليست حرفاً وإن كان ابن هشام نفسه قد جعل "ما" عوضاً، في حين أن الحوفي لم يرتض ذلك وقال إنها التي سلطت على حذف كنت.

١. حالة بناء لا:

ففي قوله تعالى: "... لَا رَيْبَ فِيهِ ... " (سورة البقرة: من الآية ٢) يقول: لا ريب مبني مع لا، ولا تنبني مع النكرات كقولك: لا رجل ولا غلام، وإذا حيل بينها وبين ما تدخل عليه لم تعمل، وكذلك إذا دخلت على المعارف لم تعمل شيئاً، ويبني الاسم معها بناء خمسة عشر على الفتح وموضعه رفع فإن نعته جاز فيه ثلاثة أوجه:
البناء والنصب على اللفظ بشبهه بالمعرب والرفع على الموضع تقول: لا رجل ظريف فتبني ظريف مع رجل، ولك أن تقولك لا رجل ظريفاً، ولك أن تقول: لا رجلٌ ظريف " على موضع رجل^(٣).

والحوفي هذا يوافق فيه سيبويه حيث يقول: لأنها جعلت وما عملت فيه بمنزلة اسم واحد نحو خمسة عشر؛ وذلك لأنها لا تشبه سائر ما ينصب مما ليس باسم وهو الفعل

١ - الحوفي: البرهان ٤٠/١، ٤١.

٢ - ابن هشام: مغني اللبيب ٣٠٥/١.

٣ - الحوفي: البرهان ٤١/١.

وما أجري مجراه، لأنها لا تعمل إلا في نكرة^(١)، والحوفي بهذا القول و اتفاهه مع سيبويه يحدد بأن المقصود من ذلك لا النافية.

٢. حيث :

في قوله تعالى ﴿ وَقُلْنَا يٰٓءَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(٢).
يقول حيث ظرف مكان مبني و حَرَكُهُ لالتقاء الساكنين، و حُرُكٌ بالضم تشبيها يقبل وبعد لأنه مفتقر إلى الصلة من حيث هو مضاف إلى جملة فأشبهه الذي في البناء لأنه يحتاج إلى بيان كما يحتاج الذي إلى الصلة وكأنه بعض الاسم وبعض الاسم لا يستحق إعرابا و أشبه قبل وبعد في الضم لأنه ظرف كما هو ظرفان و حذف منهما المضاف و جعلاً غاية الاسم و لما لم يكن إضافة حيث في اللفظ أشبهت ما حذف ما أضيف إليه و منهم من يفتحها لخرة الفتحة مع نقل الياء و فيها أربع لغات: حَيْثُ و حَيْثُ و حَوْتُ و حَوْتُ و هذه منصوبة بتقريباً^(٣). و قد ذكر ابن هشام أن الأخفش قد بيّن أنها ترد للزمان يقول: وهي للمكان اتفاقاً، قال الأخفش و قد ترد للزمان، و الغالب كونها في محل نصب على الظرفية^(٤) و هذا القول يتفق مع ما قال به الحوفي .

٣. إذا :

ففي قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا حَنُّ مُصْلِحُونَ ﴾^(٥)

١ - سيبويه: الكتاب ٢/٢٧٤.

٢ - سورة البقرة آية ٣٥.

٣ - الحوفي: البرهان ١/١٢٩.

٤ - ابن هشام: مغني اللبيب ١/١٣١.

٥ - سورة البقرة آية ١١.

يقول: إذا ظرف لما يستقبل والعامل فيه (... قَالَوَا إِنَّمَا مَحْنٌ مُصَلِحُونَ)
ولا يجوز أن يعمل فيه لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في المضاف، وإذا فيها
معنى المجازاة من حيث تطلب الجواب، وهي كما يستقبل كحرف الشرط ولا يجازى بها
إلا في الشعر إلا أن يكون معها " ما " فيجازي بها في الكلام وفي الشعر ولا يليها إلا الفعل
إذا كانت بهذا المعنى وهي ظرف زمان فإذا كانت للمفاجأة كانت ظرف مكان وتليها
الأسماء كقولك : خرج فإذا زيد وإنما لم يجاوز بها لأنها لوقت معين تقول : آتيتك إذا أحمر
البسر " والشرط مبهم فلم يستكمل معنى الشرط فلما لم يستكمل معنى الشرط من الإبهام
لا تعمل، ولو كانت شرطاً لعمل فيها الفعل الذي يليها، كما تعمل يشترط بها من الأسماء
إذا قلت : " أيهم تضرب أضرب " فأني منصوب بتضرب، ولا يعمل في حرف الشرط
والجواب: لأنه لو عمل فيه وجب تقديمه عليه وكأن الشرط يكون متوسطاً وحكمه أن
يكون متقدماً، ولا يتقدم جواب الشرط عليه إلا أن يكون غير عامل في اللفظ أعني حرف
الشرط فيكون الجواب مقدماً النية فيه التأخير وإذا كان عاملاً وقدم لم يجز أن ينوي به
التأخير لأن العامل حكمه أن يكون مقدماً وإنما وجب لحرف الشرط أن يكون مقدماً لأنه
نقل الجملة من معنى الوجوب إلى معنى الشرط فتقدم للإيذان بهذا وكل حرف ينقل
الجملة من معنى إلى معنى فله صدر الكلام (١).

وقال الحوفي: ولا يجوز أن يعمل فيه لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه لا يعمل في
المضاف يقصد به " قيل " ويتفق معه في هذا العكبري يقول: " إن إذا في موضع نصب على
الظرف والعامل فيها جوابها وهو قوله " قالوا " وقال قوم: العامل فيها " قيل وهو خطأ
لأنه في موضع جر بإضافة إذا إليه لا يعمل في المضاف (٢).

١ - الحوفي: البرهان ٥٦/١.

٢ - العكبري: إملاء ما من به الرحمن ١٠/١، ١١.

في حين أن ابن هشام يقول في ناصب إذا مذهبان ، أحدهما: أنه شرطها وهو قول المحققين فتكون بمنزلة متى وحيثما وأيان، وقول أبي البقاء إنه مردود بأن المضاف إليه لا يعمل في المضاف غير وارد، لأن إذا عند هؤلاء غير مضافة. والثاني: انه ما في جوابها من فعل أو شبهه وهو قول الأكثرين ويرد عليهم أمور:

أحدهما: أن الشرط والجزاء عبارة عن جملتين تربط بينهما الأداة وعلّة قولهم تصير الجملتان واحدة لأن الظرف عندهم من جملة الجواب، والمعمول داخل في جملة عاملة.

والثاني: ممتنع

والثالث: أن يعمل في ظرفين متضادين، وذلك باطل عقلاً^(١).

إلى غير ذلك مما ذكره ابن هشام وأنهى الحوفي فيه القول بأن العامل في إذا جوابها

٤. كيف:

في قوله تعالى ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٢).

يقول: كيف اسم يستفهم به هو سؤال عن حال بدليل الجواب لأنك تقول في الجواب مسروراً أو مغموماً. وبني لتضمنه حرف الاستفهام، وحرك لالتقاء الساكنين وفتح لخفة الفتحة مع ثقل الياء وهو في موضع نصب بتكفرون ولا يجوز تأخيرها بعد تكفرون لما فيها من معنى الاستفهام، والاستفهام له صدر الكلام لأنه ينقل الجملة من معنى الخبر إلى معنى الاستخبار فجعل له ابتداء الكلام للإيذان بهذا المعنى، والدليل على أنها اسم أنها يتألف منها مع الاسم كلام تام تقول: "كيف زيد"، ولا يتألف مع الحرف

١ - ابن هشام: مغني اللبيب ٩٦/١.

٢ - سورة البقرة آية ٢٨.

فدلّ على أنها ليست بحرف ويدل على أنها ليست بفعل لأنها تدل على حدث ولا تصرف ولا تحمل الضمير كالفعل وإذا خرجت من الفعل والحرف دلّ على أنها اسم. والذي يستفهم به من الأسماء تسعة: كيف، وما، ومن، وأي، وأين، ومتى، وأنى وأيان، وكم فهذه يستفهم بها عن طريق التسمية بالألف أصل في الاستفهام، وكيف في هذا الموضع معناها التعجب^(١).

والحوفي يبيّن الشروط التي يجب توافرها في كيف. ثم يدل على أن كيف اسم وليست بفعل أو حرف ويتفق مع الحوفي في هذا ابن هشام يقول: وهو اسم لدخول الجار عليه بلا تأويل في قولهم: "على كيف تبيع الأحمرين"^(٢)، ولا إبدال الاسم الصريح منه نحو: "كيف أنت؟ أصحيح أم سقيم؟" وللإخبار به مع مباشرته الفعل في نحو كيف كنت؟ فالإخبار به انتفت الحرفية وبمباشرة الفعل انتفت الفعلية^(٣).

والحوفي يفرّق بين حروف الجر في بيان المعنى، ففي قوله تعالى (... وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ...) (سورة البقرة: من الآية ١٤)، يقول فإن قال قائل: رأيت قوله عز وجل (... وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ...) لم قال إلى شياطينهم ولم يقل بشياطينهم إذ كان الجاري بين الناس أن يقول بعضهم لبعض "خلوت بفلان" ولا تقولن "خلوت إلى فلان". فالجواب عن ذلك أن يقال "خلوت إلى فلان" إذا أردت خلوت إليه في حاجة خاصة لا تحتل إلا الخلاء إليه في قضاء الحاجة، فأما إذا قيل "خلوت به" احتمل معنيين، أحدهما الخلاء بالحاجة والآخر: في السخرية به، فعلى هذا القول وإذا خلوا إلى شياطينهم أفصح من خلوا بشياطينهم لما في الباء من إلباس المعنى وفيه جواب ثان: وهو أن يكون بمعنى

١ - الحوفي: البرهان ١٠٦/١ - ١٠٧.

٢ - الأحمرين: الخمر واللحم: ابن هشام: معني اللبيب ٢٠٥/١.

٣ - ابن هشام: معني اللبيب ٢٠٥/١.

مع " إذ كانت حروف الجر تعاقب بعضها بعضا . وقول ثالث حكاه بعض الكوفيين قال معنى ذلك إذا صرفوا أخلاهم إلى شياطينهم أن الجانب لإلى المعنى الذي دل عليه الكلام (١) وهو بهذا المنهج عالج المسائل النحوية من خلال آيات القرآن، فلقد جاءت معالجته حسب سياق النص القرآني، إذ لم يترك مسألة من مسائل النحو إلا و أدلى فيها بدلوه، فتراه تارة مؤيداً للمذهب البصري و أخرى مؤيداً للمذهب الكوفي، وتارة جامعاً بين المذهبين و على ذلك فالمسائل التي عالجها من خلال إعرابه للنص القرآني جاءت مشتملة على مسائل يصعب على باحث أن يكشف عنها كاملة من خلال بيانه لمنهجه في التفسير فالأحرى أن يتصدى لهذا الجانب مجموعة من الباحثين لكشف الجوانب المتعددة التي عالجها الحوفي والتي قد تغني طلاب العلم عن كثير من الكتب التي عالجت تلك المسائل وزادت أمور النحو تعقيداً .